ملك السويد:
وددت أن أكون طباخا!!

من تقاليد احتفالات نوبل فى السويد أن يقوم الملك والملكة كل عام باستقبال كل من الفائزين بالجائزة. وفى عام ١٩٨٨م كان الفائز لأول مرة فى تاريخ الجائزة التى بدأت عام ١٩٠١م، كاتب عربى هو أديبنا الأكبر نجيب محفوظ. ولأن الأستاذ نجيب لا يحب السفر فقد اختارنى ممثلا شخصيا له فى احتفالات نوبل بستوكهولم وقد أقنعته – بمساعدة زوجته السيدة عطية الله – بإيفاد كريمتيه أم كلثوم وفاطمة معى على أساس أن زوجتى ستصاحبنى وستقوم برعايتهما.

وهكذا وجد الملك كارل جوستاف الثانى وزوجته الملكة سيلفيا هذه المرة أنهما لن يستقبلا شخصا واحدا هو الفائز بالجائزة أو شخصين على الأكثر إذا كانت زوجة الفائز تصاحبه فى الرحلة، إنما ستة أشخاص دفعة واحدة هم الممثل الشخصى للفائز وزوجته وابنتى الفائز والسفير المصرى وزوجته المرافقين للمجموعة فى كل تحركاتهم واللذين أعدا (للوفد) المصرى برنامجا حافلا لهذه الزيارة.

وحين أقول (الوفد) المصرى فذلك لأن الآتين من مصر لحضور هذه الاحتفالات لم يقتصر عددهم على الأربعة السالف ذكرهم، فقد صاحبنا من مصر وفد إعلامى كبير ضم حوالى ٣٠ إعلاميا كان من بينهم المرحوم محمود المراغى رئيس تحرير (الأهالى) فى ذلك الوقت وحسن شاه رئيس تحرير (الكواكب) والكاتبان الصحفيان مفيد فوزى وعبد الستار الطويلة والإذاعيتان أمينة صبرى ونبيلة مكاوى وغيرهم، وعلى حد قول الموسيقار المصرى المقيم فى السويد عبد الرحمن الخطيب (شقيق كل من سليمان جميل وفايدة وأميرة كامل) فقد بدونا مثل أهالى القرية الذين فرحوا بتخريج أحد أبنائهم.

فجاءوا جميعا إلى القاهرة يطلعون على النتيجة بأنفسهم ويحتفلون بها، وقد حدث أن أقام السفير عبد الرحمن مرعى سفير مصر فى ستوكهولم حفل عشاء على شرفنا فاضطر لاستئجار (أتوبيس) كامل ليقلنا إلى منزله الواقع فى أطراف المدينة، بينما كان كل من جاء من الدول الأخرى هو شخص واحد أو شخصان هو الفائز بالجائزة وربما زوجته.

علـى أن ذلك كلـه أضفى جوا من البهجة – وبعض الجلبة – على تواجدنا وتحركاتنا فى العاصمة السويدية التى غطتها الثلوج البيضاء طوال فترة وجودنا فيها فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٨٨م ولولا دفء الصحبة لما شعرنا بفرحة المناسبة.

ولم تفت تلك الملاحظة على الملك كارل جوستاف فى لحظة تسليمه جائزة الأدب حيث وجد الملك أمامه ليس شخصا واحدا إنما اثنان هما ابنتا أديبنا الأكبر، فتأرجح بيده مجيئا وذهابـا بين الاثنتين وكأنه يقول: من منكما ستتسـلم الجائـزة؟ وتعالت ضحكات الجمع الغفير الذى ملأ قاعة مجلس المدينة إلى أن سلم الملك أم كلثوم الجائزة وسلم فاطمة الشهادة المصاحبة لها.

وحين حل بعد ذلك موعد استقبال الملك للفائز بجائزة الأدب وجد كارل جوستاف نفسه فى الموقف نفسـه حيث دخل عليه سـتة أشخاص وليس شـخصا واحدا: كانت أم كلثوم الابنة الكبرى للأسـتاذ نجيب والتى درج على مناداتها فى المنزل باسـم هدى ترتدى ثوبا شـعبيا من ملابس بدو سيناء المطرز يدويا بالألوان الزرقاء والوردية، بينما ارتدت فاطمة أو فاتن ثوبا صعيديا بالطرز الذهبى، أما أنا والسفير المصرى فقد ارتدينا سترة السهرة الرسمية (الفراك) وفق التقاليد الملكية فى السويد فلا يجوز لأحد أن يقابل الملك بغيرها، مثلما كان الحـال عندنـا وقت الحكم الخديو حين لم يكن مسـموحا بمقابلة الخديو إلا ببدلة خاصة مطرزة بالقصب الذهبى ومن خصرها يتدلى السـيف، وكانت تعرف ببدلة التشـريفة، ولقد كانت لدى إحداها كانت مملوكة لجدى، لكنها للأسـف لم تكن لتسـعفنى فى مقابلة ملك السـويد. لذا كان سـيتحتم على أن أقوم بتفصيل (فراك) خاص لهذه المناسبة لأرتديه مرة واحدة فقط.

لكن قبل أن أشـرع فى ذلك جاءتنى النجدة من السـيد إسماعيل فهمى وزير الخارجية وجدت لديه (فراكا) كان يرتديه فى مثل هذه المناسبات، لكنه مركون فى دولابه منذ أكثر من عشـر سنوات حين اسـتقال إسماعيل فهمى من السلك الدبلوماسى، وقد وافق على أن أجرى بعض التعديلات على البدلة حتى تصبح على مقياسى.

كان الملـك هو أول المتحدثين فى هذا اللقـاء، فالبروتكول الملكى يقضى أيضا بألا يبدأ أحد بالحديث إلا بعد أن يتكلم الملك، وكان أول ما قاله ملك السـويد هو: يا له من وفد كبير، إننى لم أستقبل قبل ذلك أى فائز فى هيئة ستة أشخاص! ولم يكن الملك متفاجئا

بالطبع، فقد كان على علم مسبق بعدد الذين سيحضرون اللقاء وبشخصياتهم، لكن كارل جوستاف معروف بحبه لروح الدعابة، وقد بدا ذلك واضحا حين داعب أم كلثوم وفاطمة بالجائزة أمام الجمهور الذى بلغ عدده أكثر من ألف شخص بالإضافة للملايين الذين شاهدوا الدعابة على مختلف تليفزيونات العالم.

ورحبت الملكة سيلفيا، وهى ألمانية الأصل أحبها الملك حين قابلها على إحدى الطائرات التى كانت تعمل بها مضيفة جوية، بالحضور وخاصة بابنتى الأديب المصرى الكبير وأخذت تسألهما إن كانتا فى حاجة لأى شىء وإن كانتا تشعران بالبرد فى السويد، ثم أخذت تسألهما عن فستانيهما وقد أبدت إعجابها بكل واحد منهما على حدة.

فى هذه الأثناء كان الملك كارل جوستاف الثانى قد اتجه بالحديث إلىَّ أنا والسفير المصرى الذى لم يكن يقابله للمرة الأولى بالطبع، فقد تعددت مقابلتهما منذ بداية تعيينه فى ستوكهولم، وكانت المقابلة الأخيرة – كما فهمت من حديثهما – عند زيارة الملك لمصر فى العام السابق، وانتظرت أن يبادرنى الملك بالحديث فقال لى: يقولون لى إنك كاتب، قلت نعم، جلالتك، فأنا أكتب المسرح والقصة والرواية بالإضافة لكتاباتى الصحفية، فقال الملك: إننى أكن احتراما كبيرا جدا للكتاب، وأعتقد أن الكتابة أهم مهنة فى العالم، فالكاتب يخاطب وجدان الناس وعقولها فى الوقت نفسه، والإنسان العصرى يبدو كأنه قد نسى أن له روحا ووجدانا والكاتب هو من يذكره دائما بآدميته.

قلت للملك: إن ذلك يشير أيضا إلى آدمية من يعى ذلك. فقد قال الكاتب والشاعر الأمريكى الكبير رالف والدو إمرسون: إن القارىء الجيد هو الذى يصنع الكتاب الجيد ثم بدأنا نتحدث عن مختلف الكتاب فى العالم وعن الكتاب المفضلين لكل منا، إلى أن قال الملك: إن لديكم كتابا كثيرين فى مصر، فقلت: إن عدد الكتاب والمثقفين فى مصر يزيد على تعداد بعض الدول المجاورة لنا بما فى ذلك إسرائيل، ثم سألته: هل تعرف جلالتك أحد منهم؟ قال: أعرف طبعا محفوظ العظيم The Great Mahfouz، وقد قرأت عددا من رواياته بالسويدية وبالإنجليزية. ولا أدرى لماذا لم يفز بجائزة نوبل قبل ذلك، قلت: Better Late than never، قاصدا أنه خير أن يفوز بها متأخرا من ألا يفوز بها على الإطلاق، فقال الملك: لو كانت لى علاقة بالجائزة لطلبت أن يفوز بها كتاب كثيرون يستحقونها، لكن كما تعلم فإن نوبل جائزة مستقلة تماما عن أية جهة، قلت: إن البعض

يتصور أنها يمكن أن تخضع لبعض التأثيرات، قال: نعم خاصة عندكم فى العالم العربى، ثـم روى لى الملـك أنه أثناء زيارته لمصر قابل كاتبا كبـيرا – توصلنا معا إلى اسمه – أهداه جميع كتبه وطلب منه أن يوصى لجنة نوبل عليه (!!)، وقال الملك: لقد استمتعت بقراءة أعمال هذا الكاتب وخاصة الأشـعار، لكنى لم أجرؤ أن أفاتح لجنة نوبل فى ذلك، قلت: ألم تشـرح للكاتب ذلك؟ قال: بالطبع، لكن لم يبدو أنه اقتنع، ثم قال الملك: لكن دعك من ذلك، إنى ما زلت عند رأيى بأن الكاتب شىء كبير جدا فى المجتمع، ودعنى أقُل لك بكل صراحة إننى لو كنت كاتبا لتركت العرش وكرست وقتى كله للكتابة.

ملك وملكة السويد ومحمد سلماوى وحرمه وكريمتى محفوظ والسفير المصرى وحرمه

وقد يتصور البعض أن مثل هذا الحديث هو من قبيل المجاملة من ملك إلى ضيف يعمل بالكتابـة، لكن الحقيقة أن من يعرف الملك كارل جوسـتاف يمكـن أن يصدق أن بإمكانه

بالفعــل أن يتنازل عن العرش إذا أراد، فهو على ســبيل المثال لا يحب الإقامة فى القصر الملكى ويقيم بصفة دائمة فى (فيلا) متواضعة على الجانب الآخر من الشارع، وهو لا يحضر إلى القصر إلا إذا كان هناك ما يســتوجب وجــوده فيه، كما أنه يفضل أن يمضى وقته مع أسرته وأولاده أكثر مما يمضيه فى المهام الرسمية المتعلقة بموقعه الملكى.

وبدت على ملك السويد بعض علامات الأسى فقلت له: حتى إن لم تكن تكتب فلا بد أن لجلالتك هواية أخرى تمضى وقتك فيها، فقال على الفور وقد برقت عيناه وراء نظارته الطبيــة الأنيقة: نعم، فأنا أهوى الطبخ، وأتصور أننى كان من الممكن أن أكون ســعيدًا لو كنت أعمل طباخًا، لكنى قلت إن المسألة لا تساوى أن أترك عرش البلاد وأتحول إلى طباخ فقررت أن أظل ملكا.

وكتمت ضحكى حرصا على مشاعر الملك الذى بدا لى جادا فيما يقول، لكن ما أن ابتسم هــو حتى انفجرنا معا فى ضحك لفت انتبــاه الملكة التى كانت تتحدث مع ابنتى محفوظ وزوجتى وحرم السفير.

وواصلــت حديثــى مع الملك فســألته: ماذا كان آخر ما طبخت؟ وهنا ابتســمت الملكة ســيلفيا وهى تســمع الســؤال وبعد أن أجاب علىّ الملك قالت: لو كنت سألت هذا السؤال لملك آخر لتصور أنك تتحدث فى السياسة، فقال الملك: هذا صحيح، لكن صدقنى إن طبخ الأكل أطعم بكثير من طبخ السياسة!!

❑❑❑

باولو كويلو:
مدين بنجاحى لمصر !

حين دعوت الكاتب البرازيلى العالمى باولو كويلو إلى اتحاد الكتاب قال لى: يسعدنى جدًا أن ألتقى بأدباء مصر وضيوفهم لكنى أرجو ألا يسألونى أسئلة صعبة من نوعية: هل الإنسان فى رواياتك مخير أم مسير؟ أو ما هى الفلسفة التى تعتنقها؟ ذلك أننى إنسان بسيط أومن بالخير، وأفضل أن أحيا التجربة بدلا من أن أتحدث عنها أو أكتب فيها النظريات التحليلية، وأنا مثل أى تلميذ فى المدرسة لا أستطيع أن أجيب إلا فقط على ما أعرف إجابته.

جلس باولو كويلو فى مكتبى حوالى ربع ساعة ظل يرشف خلالها القهوة من فنجان بهدوء وبطء وعلامات التوتر بادية على قسمات وجهه، وعلى حركات اليدين العصبيتين وكأنه يخشى من دخول الامتحان، بينما كانت قاعة المسرح فى الدور العلوى لمبنى اتحاد الكتاب بالزمالك تكتظ بالجمهور الذى جاء من كل مكان ليستمع إلى هذا الكاتب العالمى الذى يعتبر أكثر ثانى الكتاب مبيعًا فى العالم.

ودخل علينا الشاعر أحمد سويلم سكرتير عام الاتحاد يقول إن قاعة المسرح لم تعد تتسع للجمهور وأن الممرات الواقعة بين الكراسى قد امتلأت عن آخرها بالناس الواقفة بينما جلس آخرون على الأرض، وقد كان بذلك يحاول طمأنة ضيفنا العالمى إلى أن الجمهور الذى ينتظره كبير للغاية، لكنى لاحظت أن ذلك زاد من توتر كويلو الذى بدلا من أن ينتقل إلى المسرح طلب فنجانًا آخر من القهوة.

كان باولو كويلو قد انتهى من أحدث رواياته التى كانت تحمل عنوان (الظاهر) والتى اتخذت اسمها – حسبما روى لى – من الكلمة العربية التى تفيد فى الفلسفة الصوفية معنى التجلى، وكانت الرواية مثل سابقاتها قد بدأت تحقق أرباحًا هائلة فى مختلف اللغات التى ترجمت إليها، وهو ما كان يكفى لبعث الثقة – بل والغرور أيضًا – فى نفس أى كاتب آخر.

وتذكرت أبا المسرح العربى توفيق الحكيم الذى كثيرًا ما سألنى عن عرض أو آخر لإحدى مسرحياته والتى لم يكن يحضرها على الإطلاق حيث كان يخشى مواجهة الجمهور(!!) رغم شغفه الشديد بمعرفة تفاصيل العرض وردود أفعال الجمهور.

وتذكرت أيضًا أم كلثوم التى كانت حتى آخر أيامها تحرص على رؤية جمهور حفلاتها من خلف الستار فى خوف وتوجس، بينما كانت تبدو شامخة بمجرد أن ينفرج الستار وتواجه الجمهور وجهًا لوجه.

وذلك بالضبط هو ما حدث مع باولو كويلو، فما أن دخل معى إلى قاعة المسرح الذى ظل يرتج دقائق متواصلة بتصفيق الجمهور حتى بدا وحشًا كاسرًا لا يخشى مواجهة أحد ولا يتراجع أمام أى سؤال، وكنت أنوى أثناء الترجمة أن أخفف من وقع بعض الأسئلة التى حذرنى مسبقًا من أنه يخشاها، لكنى إزاء جسارته المفاجئة التزمت بالأمانة الكاملة فى ترجمة جميع أنواع الأسئلة التى تدافعت من جمهور كان يتوق للقاء هذا الكاتب الأسطورة الذى لم يترجم إلى العربية إلا القليل من رواياته والتى كان أشهرها رواية (السميائى) The Alchemist والتى ترجمها الروائى الكبير بهاء طاهر باسم (ساحر الصحراء).

وبعد أن انتهى اللقاء الذى تخطى الموعد المقرر له بساعة كاملة دعوت كويلو على العشاء وجلسنا نتحدث فى مختلف الموضوعات، فقلت له: لقد خدعتنى بخشيتك المزعومة من بعض الأسئلة، فقال: بل صدقنى أنا لا أعرف الإجابة عن الأسئلة العويصة التى لا أفهمها، قلت: لكنك هذه المرة عرفت إجابة كل الأسئلة، فقال: لقد تعلمت فى المدرسة أن ألتف حول السؤال الذى لا أعرف إجابته بدلا من أن أترك ورقة الإجابة فارغة، هذا كل ما فى الأمر.

كان مشهد النيل فى الليل أمامنا خلابًا مما أيقظ أحاسيس الكاتب البرازيلى الكبير فتحدث عن مصر معبرًا عن ولعه بها، قائلاً إنها تمثل بالنسبة له بالفعل (أم الدنيا) كما يطلق عليها أبناؤها.

وروى لى باولو كويلو أنه مدين لمصر بنجاحه الأدبى لأنه أثناء زيارته الأولى لمصر منذ أكثر من عشر سنوات جاءته فكرة رواية (السميائى) التى صنعت شهرته فى العالم أجمع، وقال: كنت أزور الأهرامات التى خلبتنى وكدت أخر أمامها ساجدًا، وأحسست أننى فى بحثى الدائم عن نفسى قد وجدت ما أبحث عنه فى هذه الصحراء عند أقدام أهرامات مصر، وتلك

هى قصة رواية (السميائى) التى ظل بطلها يبحث عن الكنز سنوات طويلة، وأخذه البحث فى رحلة من المغرب إلى صحراء مصر حيث وجد الكنز أخيرًا عند أقدام الأهرامات.

قلت: إن قصة البحث هذه متكررة فى معظم أعمالك الروائية.

قال: أليس الأدب وسيلتنا فى البحث عن أنفسنا؟ لقد عملت فى مختلف الوظائف وجربت كل الطرق، بل فى بعض الأحيان لم أكن أعمل على الإطلاق وأدمنت المخدرات وأودعت مستشفى للمجاذيب، لكنى لم أجد نفسى إلا فى الأدب حيث اتجهت إليه فى سنوات متأخرة من حياتى.

باولو كويلو فى ضيافة محمد سلماوى باتحاد الكتاب

ثم قال: إن السبب فى أننى لا أحب الأسئلة التى تسأل عن الاتجاه السياسى فى رواياتى، و هل هو ماركسى النزعة أو رأسمالى، وما إلى ذلك من الأسئلة العبيطة، هو أن أعمالى ملتزمة بتوجه سياسى جديد للإنسان وهو البحث عن هويته فى هذا العالم الفوضوى الكبير الذى سقطت فيه كل الأيديولوجيات، لذلك فإن الروايات التى أكتبها لا تقع داخل

التصنيفات التقليدية العتيقة لليمين واليسار، وإنما هى تعبر عن تطلع الإنسان المعاصر إلى معرفة نفسه وتحقيق ذاته، لذلك فهى تستعصى على الكثير من النقاد الذين ينتهى بهم الأمر إلى رفضها فى الوقت الذى يتزايد قراؤها مع كل يوم جديد.

قلت: ولماذا أردت لبطل (السميائى) أن يكون كنزه فى مصر؟

قال: لأن مصر هى أول من وجدت كنزها بين جميع شعوب الأرض، فهى أول من حددت هويتها فأعطت لأبنائها شخصيتهم التى لم تستطع أى قوة غازية أن تمحوها على مدى القرون الماضية.

قلت: بل لقد ذابت فيها الكثير من الهويات الأخرى التى غزتها وتمصّر كل من دخلها، ولننظر ما حدث للإسكندر الأكبر الذى ارتدى لباس الفراعنة واعتبر نفسه ابن إله المصريين آمون وترك فى وصيته ألا يدفن إلا فى أرض مصر، أو ما حدث لنابليون الذى عاد إلى فرنسا، وقد غزت مصر نفسه ونفس كل من جاء معه من علماء أو جنود فعادوا إلى فرنسا ينشرون ما أصبح يعرف باسم (الولع بمصر) *Egyptomanie* الذى ما زال قائمًا فى فرنسا حتى الآن.

قال: لذلك فقد كان أهل مصر على حق حين قالوا إنها أم الدنيا.

ثم قال: إن مصر تفعل فىَّ فعل السميائى الذى يحول المعادن إلى ذهب، فأنا فى كل مرة أزور فيها مصر تتحول الأفكار فى ذهنى بسرعة غريبة إلى مشروع لرواية جديدة، وليست زيارتى الحالية استثناء.

❑❑❑

ماريو سوارش:
أستطيع أن أعيش حياتى على الجُبن!

جمعتنى بالرئيس البرتغالى السابق ماريو سوارش وبزوجته الفنانة ماريا باروزو علاقة صداقة وطيدة جعلتهما يدعوانى إلى البرتغال عام ١٩٩٢م، حيث أقاما لى أنا وزوجتى مأدبة غداء بقصر (بليم) الرئاسى فى العاصمة لشبونة، كما قبل الرئيس سوارش دعوتى بعد ذلك بسنتين لافتتاح جريدة (الأهرام إبدو) فى القاهرة، وذلك أثناء زيارته الرسمية لمصر عام ١٩٩٤م.

يعتبر ماريو سوارش أهم رئيس جمهورية عرفته البرتغال بعد زوال الحكم العسكرى الذى حل بالبلاد منذ عام ١٩٢٦م وحتى تأسيس الديمقراطية عام ١٩٧٤م، فقد جسد إجماعا شعبيا كبيرا خلال فترات رئاسته التى كان يحصل فيها كل مرة على نسبة أصوات تكاد تقترب من استفتاءات الدول غير الديمقراطية، لكنه كان فى الوقت نفسه أحد أهم رعاة الفنون فى أوربا، وهو يمتلك مكتبة تضم مالا يقل عن ٤٠ ألف كتاب من مختلف أنحاء العالم ومجموعة أعمال فنية سألته عن عددها فلم يستطع تحديدها، لكنه قال إنها تحصى بالآلاف، لذلك فهى بالطبع غير معلقة على الحوائط، لكنها موضوعة فى شقة خاصة تعتبر أكبر مخزن للأعمال الفنية فى البرتغال خارج إطار المتاحف.

وماريو سوارش متزوج من ممثلة المسرح الأولى فى البرتغال ماريا باروزو التى كانت رفيقة نضاله ضد الدكتاتورية العسكرية لسالازار، وقد واصلت كفاحه خلال فترة نفيه خارج البلاد.

وفى قصر (بليم) الرئاسى بالعاصمة لشبونة والذى يعود تاريخه إلى القرن الـ ١٧ وتحيط به مساحات كبيرة من الحدائق الغناء شرفت بأن أقام لى الرئيس البرتغالى وزوجته مأدبة غداء على شرفى دُعِىَ إليها عدد من الشخصيات البرتغالية والسفير المصرى فى لشبونة آنذاك سمير سيف اليزل وزوجته.

وفى ردهات القصر الفسيح فتح الرئيس البرتغالى أبواب إحدى الغرف كى يطلعنى على مستند عن الحرب العالمية الأخيرة. كان يحدثنى عنه فإذا بنا وسط غرفة لا يبدو أنها

مستخدمة، حيث تكدست فيها الكراسى و(الترابيزات) فوق بعضها البعض وكأنها مخزن فقال الرئيس: اللعنة على هذا القصر وغرفه، قلت: لابد أنها مهمة شاقة أن يحفظ أى إنسان كل غرف هذا القصر الكبير، فقال لى: خاصة إذا كان المرء لا يعيش فيه، قلت: ألا تقيم هنا؟ قال: بالطبع لا، أنا آتى هنا اليوم من أجلك فأنا لا أحضر إلى القصر إلا عند الضرورة وفى المناسبات الرسمية، قلت: وأين تقيم؟ قال: حيث كنت أقيم طوال عمرى.. فى شقتى القديمة مع زوجتى وأبنائى الاثنين.

وفى الغرفة التالية كان مجلسنا، جرت فيها مقابلتنا الصحفية التى تحدثنا فيها حول الكثير من قضايا الساعة نشرتها فى حينها، وكان من بينها بالطبع أزمة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية وسقوط الاتحاد السوفيتى وغيرها، والحقيقة أن مواقف الرجل كانت كلها واضحة لا مراوغة فيها، فقد أكد لى أن التعنت الإسرائيلى هو العقبة الرئيسية فى سبيل التسوية فى الشرق الأوسط، وانتقد رئيس الوزراء آنذاك إسحق شامير قائلا: إنه رجل صعب.

أما عن القضية الفلسطينية فقال: إن الحل الوحيد هو إقامة الدولة الفلسطينية على التراب الوطنى الفلسطينى. وقال إنه لا سبيل للهروب من هذه الحقيقة.

ثم سألته عن سقوط الاشتراكية وهو من أقطاب الاشتراكية الديمقراطية فى العالم، فقال إن النظم الاشتراكية هى التى سقطت لأنها غيبت الديمقراطية، أما مبادئ الاشتراكية ذاتها مثل العدالة الاجتماعية فهى لم تسقط.

ويمتلئ شريط التسجيل عن آخره فأعلم أن الساعة ونصف الساعة التى منحنى إياها الرئيس البرتغالى قد انتهت، فأشكره وأغلق جهاز التسجيل وينتقل الحديث إلى الموضوع المحبب لكلينا وهو الثقافة والفنون.

وفى الطريق إلى غرفة الطعام الرسمية بقصر (بليم) قال لى ماريو سوارش: لو أن الثقافة كانت هى لغة التفاهم بين الأمم بدلا من السياسة لخلا العالم من الصراعات والحروب، ومن نافذة مطلة على النهر، أشار ماريو سوارش إلى مبنى حديث فى مواجهة القصر، وقال: أتعرف هذا المبنى؟ قلت: يبدو لى أنه المبنى الذى زرته بالأمس وهو مقر رئاسة المجموعة الأوربية، قال: هذا صحيح، وقد خصصناه لهذا الغرض فى بداية هذا العام لأن البرتغال هى الآن رئيسة المجموعة الأوربية، لكن رئاستنا ستنتهى مع نهاية العام، فهل تعرف

ماذا سنفعل بهذا المبنى، قلت: هل سيتحول إلى مبنى حكومى؟ قال: حاشا لله! إنه كما ترى على ضفاف نهر (تاج) القادم إلينا من طليطلة بأسبانيا، حيث آثار الحضارة العربية العريقة التى تقف شاهدا على امتزاج ثقافتينا عبر التاريخ، لذلك فقد قررت أن يتحول هذا المبنى إلى مركز ثقافى كبير يضم كافة الأنشطة الثقافية والفنية.

وبعد دقائق كنا على مائدة الغداء الرئاسية والتى وضع أمام كل مقعد فيها كارت أنيق يحمل عنوان (قائمة طعام حفل الغداء المقام على شرف الكاتب المصرى محمد سلماوى) وتحدثنا خلال المأدبة عن العلاقات التاريخية بين البرتغال والدول العربية، وقال سوارش: إن ما يزيد من إمكانات التقارب بيننا أن البرتغال، لم تكن لها أية مستعمرات فى العالم العربى، لذلك فليس هناك عداء قديم فيما بيننا.

ماريو سوارش مع محمد سلماوى فى الأهرام إبدو

وتبدو على الرئيس البرتغالى علامات السعادة وهو يقول: هل تعلم أن هناك ما يقرب من ٦٠٠ كلمة من كلمات اللغة البرتغالية من أصل عربى!. إن ذلك يجعل اللغة العربية المصدر الثانى مباشرة للغة البرتغالية بعد الأصل اللاتينى.

ثم يتحدث سوارش عن مصر فيقول: إن الإعجاب بالحضارة المصرية هو من عاداتنا القديمة، ولقد فتنت مصر الكثير من كتابنا على مر العصور، وفى عصرنا الحديث كان كاتبنا الكبير (أسادى كيروش) يزور القاهرة كثيرا فى أواخر القرن الـ ١٩ ويقيم بفندق (شبرد) القديم بميدان الأوبرا، ثم يعود فيكتب الكثير عن مصر فتقول ماريا باروزو زوجته: إن ماريو يحتفظ بجميع كتب (كيروش) فى مكتبته وكثيرا ما يعود لقراءتها.

وقد لفت نظرى فى قائمة الطعام نوع غريب من الجبن لم أسمع به من قبل، وهو يقدم على الطريقة الفرنسية فى نهاية الوجبة وقبل الفاكهة، وحين حضر الجبن وجدته قرصا كبيرا أبيض اللون، وكأنه كعكة عيد ميلاد ولا يتم تقطيع هذا النوع من الجبن بالسكين، إنما يغرف من قلب القرص بالملعقة، لأنه طرى مثل (الكريمة).

وسألت الرئيس عن هذا النوع من الجبن فقال: إنه جبن برتغالى (جبلى) لا تجده فى أى مكان آخر غير البرتغال واسمه Queijo da serra de estrela، ثم أضاف: إنه أكلتى المفضلة، فأنا أستطيع أن أعيش حياتى كلها على هذا الجبن.

❑❑❑

سونيا ملكة النرويج:
إبسن أهم صادراتنا الوطنية

سونيا ملكة النرويج

قلت للملكة سونيا ملكة النرويج: إن مجيئك لمصر للاحتفال بمأوية كاتبكم المسرحى الأكبر هنريك إبسن يعتبر مناسبة غريبة حقا، فلم نعهد أن تصاحب ملكة أو سيدة أولى العروض المسرحية فى تجوالها خارج البلاد، وإنما يكون تواجدها فى المحافل الدولية من اجل القضايا السياسية أو الاقتصادية الكبرى! فقالت لى ملكة النرويج: إن إبسن هو أهم منتجاتنا الوطنية وهو سلعتنا التصديرية الأولى.

وقد قالت لى الملكة سونيا: إن عدد المرات التى تقدم فيها مسرحيات إبسن سنويا فى مختلف أنحاء العالم يحصى الآن بالمئات ولدينا فى النرويج مؤسسة إبسن التى تتابع تلك العروض لكى تعطى الموافقات الخاصة بتقديمها. ثم أضافت الملكة: لكن هذه المرة تعتبر ذات طابع خاص لأننا لا نقدم مجرد عرض مسرحى لواحدة من مسرحيات إبسن، وإنما نقدم أهم وأكبر مسرحياته وهى (بيرجنت) احتفالا بمأويته الأولى.

ولم يغب عنى خلال لقائى مع الملكة سونيا فى حفل العشاء الخاص الذى أقيم على شرفها خلال زيارتها لمصر، ذلك التقابل بين ما تمثله سونيا فى تاريخ الملكية النرويجية والقضايا التى اقترن بها مسرح هنريك إبسن أبى الواقعية فى المسرح العالمى، فسونيا هى أول ملكة تعرفها النرويج من عامة الشعب، وحين قرر ولى عهد النرويج الأمير هارالد أن يتزوج سونيا هارالدسن فى عام ١٩٥٩م اضطر أن ينتظر تسع سنوات كاملة قبل أن يحصل على موافقة والده الملك أولاف على إبرام هذا الزواج غير المسبوق فى تاريخ العائلة المالكة فى النرويج، وقد نتج عن الإعلان الرسمى فى مارس عام ١٩٦٨م بأن الملك قد أعطى موافقته لولى العهد على أن يتزوج من عامة الشعب، حوار قومى واسع حول مستقبل الملكية فى النرويج

أظهـر وجـود غالبية بين الرأى العام فى جانب هذا الـزواج، وهكذا أقيم العرس الملكى فى أغسطس من العام نفسه؛ وهكذا أصبحت سونيا أول ملكة نرويجية من عامة الشعب.

على أن ذلك لم يكن نهاية المطاف فقد قررت سـونيا أن تقوم بمسـئوليتها كملكة إلى جانـب زوجهـا الملك هارالد، فهـى الراعية الأولى فى النرويج للفنون كما تتولى مسـئولية الكثـير مـن منظمات العمل الاجتماعى، ولها أيضا اهتمام خـاص بقضايا المهاجرين، وقد قامت بزيارة فى السبعينيات الماضية للاجئين الفيتناميين الذين يعيشون فى المراكب بأنهار ماليزيا، وحين حصلت على جائزة نانسـن التى تمنحها المفوضية العامة للاجئين التابعة للأمم المتحدة تبرعت الملكة سونيا بقيمة الجائزة وهى ٥٠ ألف دولار أمريكى لبناء المدارس لأبناء اللاجئين فى تنزانيا، وقد شـغلت منصب نائب رئيس الصليب الأحمر فى النرويج من عام ١٩٨٧م إلى عام ١٩٩٠م.

أما على المستوى السياسى فقد كانت الملكة سونيا أول ملكة تصاحب زوجها أثناء أدائه لقسـم حماية الدسـتور يـوم ٢١ يناير عام ١٩٩١م وكانت تلك هـى أول مرة منذ ٦٩ عاما تتواجـد فيها ملكة البـلاد فى البرلمان النرويجى، كما اعتادت الملكة سـونيا أن تصاحب زوجهـا بعـد ذلك فى الافتتـاح الرسمى للبرلمان فى الخريف مـن كل عام لحضور خطابه السنوى فى هذه المناسبة.

ومـن العادات التى ارتبطت بالملكة سـونيا قيامها مع الملك بزيارة واحدة من مقاطعات النرويـج فى كل عام حيث يمضيان يومين أو ثلاثة يزوران خلالها مختلف البلديات، كما أنها تهوى التزلج على الجليد وفى كل عام تقوم بممارسة هوايتها مع بقية أهل النرويج.

كل ذلـك جعل من سـونيا ملكة النرويج مثالا للمرأة المتحـررة التى ثارت على التقاليد البالية فى سبيل تحقيق ذاتها، وتلك هى القضية الرئيسية فى المسرح الواقعى الذى ارتبط باسـم هنريك إبسـن، فتحرر المرأة وتحقيقها لذاتها هو موضوع مسـرحيته الشهيرة (بيت الدميـة) التـى كتبها عام ١٨٧٩م والتى تتمرد فيها بطلتها نورا على حياتها مع زوج ينظر إليهـا كقطعـة أثاث فى المنزل أو كدمية بلا شـخصية ولا إرادة، لذلـك فهى تترك منزل الزوجية فى النهاية بحثا عن هويتها ودفاعا عن استقلاليتها.

وفى العام التالى كتب إبسـن مسـرحيته التالية (الأشـباح) الذى قدم فيها المرأة البديلة لنـورا بعد أن ثار المجتمع النرويجى ضد مسـرحية (بيت الدمية)؛ ففى (الأشـباح) تقرر الزوجـة البقاء فى بيت الزوجية رغم علمها بخيانـة زوجها، وهى تدفع بذلك القرار ثمنا باهظا من حياتها واحترامها لنفسها.

ثم كتب إبسن بعد ذلك مسرحية (عدو الشعب) ليتعرض هذه المرة للنفاق الاجتماعى الذى يفضل الإبقاء على المظاهر وعدم مواجهة الواقع الفعلى.

أما فى مسرحية (بيرجنت) التى حضرت الملكة سونيا إلى مصر بمناسبة عرضها عند سفح الهرم احتفالا بمئوية كاتبها الكبير فقد جمع إبسن الكثير من القصص الشعبى النرويجى مع ذكريات الطفولة فى ملحمة مسرحية رائعة يبحث فيها البطل عن نفسه فيجوب أركان العالم الأربعة لينتهى به المطاف عند قدمى رمز الحكمة– أبو الهول– فى صحراء مصر كى يسأله: من أكون؟

إذن فالبحث عن الهوية وتحقيق الذات هو الذى كان الشغل الشاغل لإبسن وهو الذى دفع به إلى البحث عن شكل فنى جديد صار يعرف باسم المسرح الواقعى، وهكذا أنزل إبسن هذا الفن العريق من برجه العاجى إلى الواقع المعيشى تماما كما فعلت سونيا ملكة النرويج التى قربت الملكية من عامة الشعب الذين جاءت منهم فبدأت مرحلة جديدة للملكية العصرية كما كان إبسن فى رأى النقاد هو بداية المسرح الحديث فى العالم.

وأسأل الملكة سونيا: ما هو أهم ما يجذبك فى مسرح إبسن؟ فتقول: عصريته، فأنت حين تقرأ أو تشاهد إحدى مسرحياته لا تمكن أن تشعر أنها كتبت منذ أكثر من قرن كامل من الزمان وإنما تكاد تجزم أن كاتبها مازال يعيش بيننا.

ثم اسألها: ومن هى بطلتك المفضلة فى مسرحه؟ فتقول بلا تردد: نورا طبعا، ثم تسألنى: وأنت؟ فأقول لها بلا تردد: سونيا ملكة النرويج.

❑❑❑

عبده ضيوف:
عائلتى تجسيد لمنظمة الفرانكوفونية!

قد لا يعرف البعض أن الرئيس السنغالى السابق عبده ضيوف المسيحى الكاثوليكى متزوج من سيدة مسلمة من أصل عربى لبنانى وله منها أربعة أبناء وأحد عشر حفيدا، وحين تم تعيينه سكرتيرا عاما للمنظمة الدولية للفرانكوفونية سألته: كيف تتعايش أسرة عبده ضيوف رغم اختلافات الأديان والأجيال؟.. فقالى لى: إننا تجسيد حى للفرانكوفونية، فرغم اختلافاتنا فإننا جميعا نتحدث الفرنسية!!

قابلت الرئيس السنغالى السابق عبده ضيوف فى بيروت فى خريف عام ٢٠٠٢م، كان وقتها قد تم انتخابه سكرتيرا عاما للمنظمة الدولية للفرانكوفونية التى كانت تعقد قمتها فى ذلك الوقت فى العاصمة اللبنانية، وكان أول ما سألته هو: ما هى القضايا التى سيعنى بها كسكرتير عام جديد للفرانكوفونية؟.. فقال لى: قضيتان.. السياسة والاقتصاد.

وعجبت من هذا الرد ذلك أن الفرانكوفونية قامت منذ البداية على رابطة اللغة والثقافة بعكس مثيلها الإنجليزى وهو الكومنولث الذى يقوم بالفعل على السياسة والاقتصاد.

ومع ذلك فقد جاء رد عبده ضيوف متسقا إلى حد كبير مع طبيعة القمة التاسعة التى شهدتها بيروت فى ذلك الوقت. حيث طغت السياسة بشكل كبير على كلمات رؤساء الدول وخاصة قضية العراق، والتى تلتها فى اهتمام رؤساء الدول القضية الفلسطينية، وهكذا اتسمت اجتماعات القمة بنبرة تحد واضحة إزاء الولايات المتحدة المتهم الأول فى القضيتين.

ورغم أن القمة الفرانكوفونية عقدت تحت عنوان بعيد تماما عن السياسة وهو (حوار الثقافات) فإنها بلورت إلى حد كبير روح التحدى التى تواجهها الولايات المتحدة فى العالم فى الوقت الحالى، وهو توجه ليس ببعيد عن السياسة الفرنسية، حيث كان الرئيس الفرنسى جاك شيراك أول من تحدث عما أسماه (الأحادية الأمريكية) وإذا كان الموقف الفرنسى لا يختلف فى ذلك عن الموقف الألمانى مثلا إلا أن فرنسا قد وجدت فى المنظمة الفرانكوفونية الإطار المناسب لتجسيد هذا الموقف دوليا، وقد بدا هذا واضحا حين صدر البيان الختامى للقمة، وقد نص على الدعوى (لتأكيد المسئولية الجماعية من أجل التوصل إلى حل للأزمة العراقية).

ومـن تابـع مؤتمرات القمة الفرانكوفونية الثمانية السـابقة على قمة بيروت يجدها فى المعتاد تظاهرات ثقافية وفكرية لا تتخذ مواقف سياسـية محددة، وقد تصورت أن الظرف الذى انعقدت فيه القمة التاسـعة فى بيروت هو الذى فرض عليها هذا التوجه السياسـى، لكن رد عبده ضيوف على سؤالى أوحى لى بأن الاتجاه إلى السياسة هو اتجاه مقصود لذاته، وليس وليد الظرف الحالى وحده.

سألت عبده ضيوف: هل تعتقد أن الفرانكوفونية قد وصلت الآن وبعد قيامها بـ ٢٦ عاما إلى سن الرشد الذى يفرض عليها تخطى الثقافة والاهتمام بالسياسة والاقتصاد؟

ابتسم السكرتير العام للفرانكوفونية واعتدل فى مجلسه وهو يقول فى هدوء: إن الثقافة ليست حائلا دون الاهتمام بالسياسة صحيح أن اللغة هى التى جمعت أعضاء المنظمة لكننا لم نجتمع من أجل تدارس اللغة الفرنسية.. بل من أجل بحث مصالح الدول الأعضاء التى تجمع بينها هذه اللغة، فهل تجد فى ذلك غرابة؟

قلـت: على العكس إنى أجد أنه بدون التعبير السياسـى الواضح لمنظمة الفرانكوفونية يغيب السـبب وراء عضوية بعض الدول، ومنها مصر على سـبيل المثال التى تشارك الدول الأعضاء الموقف السياسى أكثر مما تشاركها وحدة اللغة.

قال ضيوف: هذا صحيح، لكن مصر مع ذلك ليست بعيدة تماما عن اللغة الفرنسية.

قلـت: بـل هى قريبة منها، وقـد كانت أقرب وقت الاحتـلال البريطانى حيث كان البعض حين يتحدثون لغة أجنبية يختارون الفرنسية بدلا من الإنجليزية للتعبير عن رفض الوجـود العسـكرى البريطانى، كما أن فرنسـا كانت فى ذلك الوقـت خير نصير للحركة الوطنيـة المصرية، لكنى أتحدث عن التطور الذى حدث لمنظمة الفرانكوفونية ذاتها ما بين رئيسين سـنغاليين ليوبولد سنجور وأنت، فسنجور وهو أحد الآباء المؤسسين للمنظمة كان أديبا وشـاعرا مهتما اهتماما كبيرا باللغة الفرنسـية، أما أنت فقد دخلت المنظمة من باب السياسة وهكذا أضفت بعدا جديدا للفرانكوفونية التى كان الاعتقاد السائد من قبل هو أنها يغلب عليها الطابع الثقافى.

فقال عبده ضيوف: إن لروبير برازيلاك مقولة شـهيرة تقول: إنه لا يوجد قادة للبشـر بدون عمق شـعرى، فالسياسـة فى أفضل صورها قد تكون مثل الشـعر محاولة لأن تعيش الشعوب أحلامها.

ولم يكــن بغريــب أن تأتى تلك المقولة من عبده ضيوف فقد عمل مع ســنجور ١١ عاما تنقــل خلالهــا بين عدة مناصب منها وزير الخارجية ووزيــر الصناعة ثم رئيس للوزراء إلى أن خلف ســنجور فى رئاسة الجمهورية، وهو يصف ســنجور بأنه (صاحب منهج ورجل حوار) ثم يقول (إننى أعرف مبادئه جيدا وأقدرها لكننى لا أملك موهبته الثقافية).

وسألت سكرتير عام المنظمة الفرانكوفونية: (ماذا تعنى لك اللغة الفرنسية؟). فقال على الفور (إنها وسيلتى فى التعبير عن نفسى، وهى نافذتى على العالم، وهى طريقى للمعرفة.. بل هى علاقتى بالعالم من حولى).

قلت له: ما هو فى تصورك ما يجمع بين مختلف أعضاء المنظمة الدولية للفرانكوفونية والذيــن بلغ عددها ٥٦ دولة (٥١ دولة عاملــة و ٥دول مراقبة)؟... فقال: المثل والمبادىء الفرانكوفونية من العدالة إلى الديمقراطية، ومن الســلام إلى حقوق الإنســان، فاللغة تخلق منظومة تفكير مشــتركة، وهى تخلق نظام إدارة واحدًا، كما أن هناك أيضا تاريخا مشتركا يجمع بين الكثير من الدول الأعضاء التى تعرضت للثقافة الفرنسية بطريقة أو بأخرى.

لكن الفرانكوفونية عند عبده ضيوف هى (أولا وقبل كل شىء: قبول الآخر).. فالثقافة الفرنسية كانت دائما أكثر انفتاحا على العالم وثقافاته المتعددة من مثيلتها البريطانية مثلا، وهو يضرب مثلا بالفرنســيين حين جاءوا إلى مصر فاهتموا بتاريخها رغم أن حملة نابليون لم تستمر إلا ثلاث سنوات فقط، بينما أمضت القوات البريطانية فى مصر ما يقرب من ٧٠ عاما دون أن يصاب البريطانيون بذلك الولع بمصر الذى يعرف عن الفرنسيين.

وإذا كان عبــده ضيــوف يمثل مرحلة مختلفة فى تاريخ المنظمــة الدولية للفرانكوفونية تتميز بالاهتمام – على حد قوله – بالسياســة والاقتصاد، فإنه فى ذلك يعتمد على خبرته السياســية الممتدة عبر ســنين توليه رئاسة بلاده، بالإضافة لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية فى أواسط الثمانينيات..

وإذا كان اهتمامه بالسياسة قد عبر عن نفسه فى الوقوف أما الهيمنة الأمريكية فإنه يلخص رؤيته فى الاقتصاد بالقول بإن اقتصاد العالم يجب أن يخضع لقاعدة وسلطة عليا تفرض احترام الإنسان، وكذلك احترام البيئة والطبيعة، ولابد من توزيع ثروات العالم فى إطار التضامن بين شعوب الأرض جميعا لتقريب ذلك الفارق الشاسع بين الأغنياء والفقراء.

❑❑❑

شارل أزنافور:
أنا الذى دعوت أم كلثوم لباريس!

تحت قدمى أهرامات دهشـور التاريخية وقف المطرب الفرنسـى العالمى شارل أزنافور يصـور المنظر الخلاب بالكاميرا (الديجيتال) (الرقمية) الخاصة به، ثم قال لى: فى سـنى الآن وقد وصلت إلى الـ ٨٣ تصبح هذه الكاميرا هى ذاكرتى الحقيقية التى لا تنسـى شـيئا بسبب تقدمها فى السن! وفى الوقت نفسه وقف ابنه الشاب نيكولا إلى جانبه يصور المنظر نفسـه، بينما أخذت حفيدته الصغيرة (ليلى) تجرى فوق العشـب الأخضر الذى نما وسط النخيل فى هذه المنطقة الواقعة على حافة الصحراء.

كنت قد دعوت أزنافور إلى بيتى الريفى فى دهشـور أثناء زيارته لمصر لقضاء يوم خارج جو الفنادق والمسـرح والحفلات الرسمية، وقد حضر ومعه عائلته المكونة من حوالى عشـرة أشـخاص مـن بينهم ابنه نيكولا المتزوج مـن فتاة نصفها من المغـرب والنصف الثانى من تاهيتى وابنته كاتيا التى صاحبته الغناء فى أوبرا القاهرة وزوجها رشيد الجزائرى وابنتهما الصغيرة ليلى بالإضافة لمسيو سايان مدير أعماله الذى لا يفترق عنه أبدًا والذى يقول أزنافور إنـه أحد أفـراد العائلة، أما زوجته فلم تعد الآن قادرة علـى مرافقته فى رحلاته المتعددة حول العالم وعادة ما تسافر معه شقيقته عايدة بدلا منها لكنها لم تصاحبه فى تلك المرة إلى مصر، لذلك فبمجرد وصوله إلى دهشـور قال أزنافور: هذه هى عائلتى المصغرة، لقد أشفقنا عليك وعلى زوجتك فلم نحضر (القبيلة) كلها!

ولـد أزنافور فـى باريس يوم ٢٢ مايو عـام ١٩٢٤م لأبوين من الأرمـن كانا قد وصلا إلى العاصمة الفرنسية فى طريقهما للهجرة إلى الولايات المتحدة وكان اسمه شاه نور أزنافوريان وقد تحول اسمه الأول بعد ذلك إلى شارل حين اتجه إلى الفن، أما اسم عائلته فقد أسقط منه المقطع الأخير والذى يميز جميع الأسماء الأرمينية ويعنى (ابن) فأزنافوريان يعنى (ابن أزنافور).

كان والد شـارل أزنافور الذى ولد فى إقليم جورجيا بروسـيا ابن طباخ القيصر الروسى نيقولا الثانى بينما انحدرت والدته من أرمن تركيا، ورغم أن شارل لم يرتبط بأصوله الأرمينية إلا متأخرا ففى صوته الذى تميزه رعشة خاصة تعرف فى الموسيقى باسم Tremolo يكمن شجن شعب أرمينيا كله.

وفى ذلك يقول أزنافور: لقد اكتشفت أرمينيا لأول مرة فى عام ١٩٦٣م أثناء رحلة فنية قمت بها فى ذلك الوقت إلى الاتحاد السوفيتى، لكنى لم أرتبط بها إلا بعد الزلزال المريع الذى وقع هناك فى ديسمبر عام ١٩٨٨م والذى قتل ٥٠ ألفا وشرد ما يقرب من نصف مليون شخص، فعندئذ تذكرت المذبحة التى تعرض لها الأرمن من قبل فقمت بتأسيس مؤسسة خيرية تحمل اسم (أزنافور وأرمينيا) لمساعدة أرمينيا التى لم أكن أتصور أنها ستتحرر أثناء حياتى كما حدث بعد انهيار الاتحاد السوفيتى حيث صارت الآن أرمينيا ومنذ عام ١٩٩١م دولة مستقلة.

وفى مصر حرص أزنافور على حضور قداس عيد الميلاد فى كنيسة الأرمن بالإسكندرية وقال لى: كنت أعرف أن مصر عرفت أعدادا كبيرة من الأرمن وبعضهم كانوا موسيقيين اعتبرهم أجدادى لكنى لم أكن أعرف أن أعدادهم بهذا الحجم الكبير.

والحقيقة أن أزنافور يشعر بارتباط كبير بمصر ليس فقط احتضانها للأرمن بعد المذابح التى تعرضوا لها على يد الأتراك أثناء الحرب العالمية، ولا بسبب تاريخها العريق والذى يهواه، لكن لأسباب موسيقية أيضا فهو من عشاق الموسيقى العربية، وقد قابل أعلامها مثل محمد عبد الوهاب وفريد الاطرش الذى جمعته به علاقة شخصية وعبد الحليم حافظ، وقد قال لى: هل تعرف أننى أنا الذى اقترحت على برونو كوكاتريس صاحب مسرح (الأولمبيا) فى باريس أن يستضيف أسطورة الطرب العربى أم كلثوم فى مسرحه بباريس؟ فى ذلك الوقت لم أكن قد قابلت أم كلثوم على الإطلاق لكنى كنت أعرف أغانيها بعد أن استمعت إلى صوتها لأول مرة أثناء زيارة لى إلى المغرب، وقد قلت لكوكاتريس إن أم كلثوم هى إحدى العلامات البارزة فى تاريخ الموسيقى فى العالم كله وإن عليه أن يضيف إلى سجل مسرحه العريق شرف استضافة أم كلثوم العرب.

وحين حضرت أم كلثوم إلى باريس وذهبت إلى حفلها حرص برونو كوكاتريس أن يقول لها: إننى مدين بنجاح هذا الحفل إلى شارل أزنافور فهو فى الحقيقة الذى دعاك إلى باريس.

ومثلما كان أزنافور من عشاق صوت أم كلثوم فقد كان أيضا من عشاق صوت المطربة المصرية المولد داليدا ومن أقرب أصدقائها وبعد رحيلها كتب أغنية فى ذكراها هى (بعض الحب يا الله بعض الحب) استلهم فيها الموسيقى المصرية.

وســألنى أزنافور عن الفرعون ســنفرو صاحب أهرامات دهشور فقلت له إنه والد خوفو صاحــب الهرم الأكبر فقال: إنى أعرف الابن لكن لا أعرف الأب، ثم أضاف مداعبا: هذا يثبت أنى صغير فى السن!

وشــارل أزنافور من طبقة خاصة من الموسيقيين فى فرنسا الذين يكتبون كلمات أغانيهم وموســيقاها، وهناك فى فرنســا مؤلفو الأغنيات الذين يطلق عليهم اســم Paroliers أما أزنافــور وليو فيريه وجورج براســانس وجيلبير بيكو فيطلق عليهم اســم شــعراء Poêtes الأغنية الفرنسية، وقد سألته ذات مرة: هل كنت دائما تتطلع إلى أن تصبح موسيقيا؟ فقال لى: كنت أعرف أننى ســأعمل بالفن فقد كنت أهوى الأدب والموسيقى والتمثيل، وقد كان والدى الذى كان يملك مطعما روســيا فى شــارع (لاهوشيت) فى باريس مغنيا بينما كانت والدتى ممثلة وكنت أشاهدهما أمام الجمهور منذ طفولتى فى كل من باريس وليون ومرسيليا حيث توجد تجمعات كبيرة من الأرمن ولقد ظهرت أنا نفســى على المســرح لأول مرة وأنا فى سن التاسعة.

والحقيقة أن أزنافور إلى جانب الغناء يقوم أيضا بالتمثيل وقد ظهر فى حوالى ٦٠ فيلما، كمــا أصدر عددا من الكتب كان آخرها مجموعــة قصصية من تأليفه ظهرت فى باريس قبل مجيئه إلى مصر بأقل من شهر، لكنه يظل أحد أساطير الغناء الفرنسى ويصل عدد الأغنيات التــى ألفهــا إلى أكثر من ألف أغنية وصلت معظمها إلى العالمية منذ برز اسمه على الســاحة الموسيقية فى فرنسا عام ١٩٦٠م ثم صعد فى عام ١٩٦٤م إلى آفاق غير مسبوقة بأغنية (لاماما) التــى باعــت أكثر من مليون نســخة، ومن الغريب أن تلك هى الأغنية نفســها التى توقف أزنافــور فى منتصفهــا أثناء حفلته بأوبرا القاهرة حين لم يتذكر بقية كلماتها، وقد قلت له: إن أى مطرب آخر كان ســيكمل الأغنية بطريقة أو بأخرى حتى دون كلمات بأن يتغنى مع الموسيقى قائلا: لا لا لا لا! لكنه قال لى: هذا يكون خداعا للجمهور، فإما أن تغنى الأغنية كما يجب أو تعتذر للجمهور إذا لم تكن قادرا على غنائها، وهو ما فضلت أن أفعله.

❑❑❑

سول بيلو:
نوبل لغة وليست جائزة!

حين قابلت الكاتب الأمريكى الراحل سول بيلو فى بداية الثمانينيات كان قد مضى على فوزه بجائزة نوبل بضع سنوات فقط، لكنه كان – على حد قوله – يعانى من تأثير الجائزة التى قال إنها تصيب من يفوز بها بلعنة توقفه عن الكتابة، ومع ذلك فحين توفى بيلو فى عام ٢٠٠٥م كان قد أصدر تسع روايات جديدة منذ حصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٦م.

لم يكن سول بيلو من الكتاب الروائيين الذين جذبونى لقراءة أعمالهم. ربما بسبب ذلك الكتاب غير الروائى الذى أصدره فى نفس سنة فوزه بجائزة نوبل والذى تصادف أن كان أول كتاب قرأته له. وهو بعنوان (إلى القدس والعودة) وقد ضمنه بيلو مذكراته عن رحلة كان قد قام بها إلى إسرائيل، فقد وجدت الكتاب منحازا إلى جانب إسرائيل ومتجاهلا إلى حد كبير محنة الشعب الفلسطينى.

وقد ذكرنى ذلك بكاتب أمريكى آخر هو (إللى فيزل) الذى لم يتحرر أيضا من أسر يهوديته. فافتقد إلى النظرة الموضوعية فيما يتعلق بالوضع فى الشرق الأوسط.

على أنى حين قرأت الأعمال الأدبية لسول بيلو وجدت فيها مضمونا إنسانيا نبيلا يفوق كثيرا ما يقدمه فيزل وقد يكون فيه عوضا عن الإنحياز الذى يظهره بيلو فى كتابه عن القدس. إن تلك القيمة الإنسانية فى أعمال سول بيلو هى التى تبرر المكانة الرفيعة التى يحتلها فى الرواية الأمريكية فى القرن العشرين والتى تضعه إلى جوار وليام فوكنر، حيث يتقاسمان القرن فيما بينهما بعد أن تقاسم القرن التاسع عشر كل من هرمان ملفيل وناثانيل هوثورن ومارك توين.

ولد سول بيلو عام ١٩١٥م فى كندا لأبوين مهاجرين من روسيا وكان اسمه الحقيقى سولومون (أى سليمان) بيلوز ثم غير اسمه إلى صول بيلو بعد أن انتقل مع أسرته إلى الولايات المتحدة واستقر فى مدينة شيكاغو التى ارتبط اسمه بها، حيث تدور أحداث الكثير من رواياته فيها.

بدأ صول بيلو حياته يكتب للصحف عروضا عن الكتب الجديدة. وكان يتقاضى آنذاك عشرة دولارت عن كل مقال، لكن سرعان ما بزغ نجمه كاتبا روائيا بعد الحرب العالمية

الثانيــة، وقد ســاعد فى تســليط الضوء على موهبتــه الأدبية ذلك الاهتمام الذى شــهدته الولايــات المتحــدة بالأدباء اليهود بعد الاضهاد الذى تعرضوا لــه فى أوربا أثناء الحرب، ففى تلك الفترة ظهر مثلا فيليب روث وبرنارد مالامود وسنثيا أوزيك لكن بيلو تفوق عليهم جميعا للعمق الإنســانى الذى تقدمه رواياته، كما تفوق عليهم أيضا فى غزارة إنتاجه وكان أول كاتــب يحصــل على الجائزة الوطنية للكتاب ثلاث مــرات فى عام ١٩٥٤م عن رواية (مغامرات أوجى مارش) وفى عام ١٩٦٥م عن رواية (هرتزوج). وفى عام ١٩٧١م عن رواية (كوكب مستر سامل).

وفــى عام ١٩٧٦م فــاز صول بيلو بجائزة نوبل فى الأدب عن مجمل أعماله، وجاء فى حيثيــات فوزه أنه حصل على الجائزة (لتفهمه الإنســانى العميق ولتحليله الدقيق للثقافة المعاصرة) والحقيقة أن أعمال بيلو تهتم بإعلاء الجانب الإنسانى فى البشر فى عصر طغت فيه الحضارة المادية على كل شــىء. وقد كانت وســيلته فى ذلك هى الروح الساخرة التى اشتهرت بها أعماله حتى فيما يتعلق بقضية الموت التى تحتل مكانا كبيرا فى أعماله.

ولقد تحدث معى سول بيلو الذى قابلته فى بوسطن عن نشأته فى إحدى ضواحى مدينة مونتريال بكندا فقال إنه لم يمض بها غير الســنوات التسع الأولى من حياته قبل أن ينتقل مع والديه إلى شــيكاغو بالولايات المتحدة، وقال إن والده كان يعيش فى مدينة بتروجراد فى روسيا وأنه مدين بدخله لمصر حيث كان يستورد منها البصل الذى كان يدر عليه دخلا لا بأس به اســتطاع من خلاله أن يبنى أســرته وتجميع بعض المال الذى مكنه من الهجرة إلى كندا حيث كانت شقيقته تعيش هناك.

وحين تحدثنا عن فن الرواية أخذ بيلو على الروائيين المعاصرين اهتمامهم الزائد بالشكل الروائى فى محاولة للاقتراب من وضع الشــعر لأنهم يتصورون أن ما ســيخلد أعمالهم هو الشكل الفنى، بينما الحقيقة أن ما أبقى لنا روائع القرن الماضى من تولستوى ودستوفسكى وفلوبــير وديكنز كان ثراء الأحداث وتنوع المشــاهد وعمق الشــخصيات التى انطبعت الآن بشكل دائم فى الذاكرة الإنسانية.

وأعرب بيلو عن اعتقاده بأن الروائيين الفرنسيين هم الذين بدأوا هذا الاتجاه بما أسموه (الروايــة الجديــدة) و (الرواية الضد) وقال إن هذا راجــع إلى أن معظم الروائيين الجدد لا يتمتعــون بالقدرة على خلق مواقف درامية قويــة كتلك التى حفلت بها روايات القرن التاسع عشر.

وسألت بيلو عن جائزة نوبل فقال على الفور (إنها لعنة وليست جائزة) وكنت قد قرأت أنه قال إن جائزة نوبل نادرا ما كانت بالشيء الجيد للأديب. وهى فى معظم الأحيان تحول دون استمراره فى الكتابة. لذلك سألته عن رأيه هذا حيث ضرب أمثلة على ذلك بجون شتاينبك وسنكلير لويس اللذين – على حد قوله – لم يفيقا من الخمر منذ حصول كل منهما على جائزة نوبل، وأرنست همنجواى الذى أقلع عن الكتابة تماما بعد حصوله عليها.

وكثيرا ما تذكرت مقولة سول بيلو هذه عن نوبل بعد سنوات من لقائى به، حيث وجددت على سبيل المثال أن أديبنا الكبير نجيب محفوظ لم يكتب الرواية بعد فوزه بجائزة نوبل، فقد كانت آخر رواية كتبها هى (قشتمر) التى صدرت فى كتاب بعد فوزه بنوبل، لكنها نشرت مسلسلة فى (الأهرام) قبل الجائزة! كذلك فقد سمعت كاتبة جنوب أفريقيا نادين جورديمير تشكو لمحفوظ من أنها تشعر بأن الرواية التى كانت تكتبها فى عام ٢٠٠٥م حين قابلته ستكون روايتها الأخيرة، وأنها تخشى الآن ألا تكتب ثانية..

أما جابرييل جارثيا ماركيز فلم يعد سرا أنه يعانى الآن من عدم القدرة على الكتابة، وقد أخبرنى بنفسه بذلك فى لقاء معه فى الولايات المتحدة، ثم وجدت بعض الصحف بعد ذلك بفترة طويلة تتناقل الخبر نفسه، مما يعنى أنه مازال فى معاناته مع الكتابة.

فهل كان ذلك بسبب حصول هؤلاء الأدباء على جائزة نوبل؟.. إن الغريب فى الأمر أنه فى الوقت الذى صدقت مقولة سول بيلو على هؤلاء الكتاب فهى لم تصدق عليه هو. ولقد أحصيت عدد الروايات التى صدرت له منذ فاز بجائزة نوبل فى أكتوبر ١٩٧٦م وحتى وفاته فى أبريل ٢٠٠٥م فوجدتها تسع روايات.

❑❑❑

لورد كارادون:
أعتبر نفسى فلسطينيا!

كان الدبلوماسى البريطانى المحنك لورد كارادون هو صاحب أشهر قرار أصدرته الأمم المتحدة فى قضية الشرق الأوسط وهو القرار ٢٤٢ الذى استخدم فيه كارادون براعته الدبلوماسية واللغوية أيضا فنجح فى أن يحصل على موافقة الجانبين العربى والإسرائيلى على القرار، لكنه بسبب غموضه صار قرارا غير قابل للتنفيذ لأن كل طرف قرأه بشكل مختلف عن الآخر.

ارتبط اسم لورد كارادون بالشرق الأوسط منذ عشرنيات القرن العشرين، فبمجرد تخرجه فى جامعة كامبريدج عام ١٩٢٨م عين فى فلسطين ضمن إدارة الانتداب البريطانى وكان فى ذلك الوقت شابا فى الـ ٢١ من عمره يحمل اسم هيو فوت، وفى عام ١٩٥٦م عين وزيرا للدولة للشئون الخارجية وحصل على لقب لوردكارادون، أصبح مندوبا دائما لبريطانيا فى الأمم المتحدة خلال فترة من أهم الفترات بالنسبة للقضية العربية وهى فترة حرب ١٩٦٧م وما تلاها.

وخلال فترة عمل لورد كارادون فى المنظمة الدولية ظهرت مهارته بشكل واضح حين توصل إلى صيغة لقرار وقف إطلاق النار بين العرب وإسرائيل قبلتها جميع الأطراف: العرب وإسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وقد كان معروفا فى أروقة الأمم المتحدة أن لورد كارادون هو الذى كتب هذا القرار بنفسه، وقد اعتبر القرار ٢٤٢ مثالا كلاسيكيا للمراوغة البريطانية فقد صيغ بطريقة جعلت كل طرف يفهم بطريقته فيقبله على الفور.

وقد لا يعرف البعض أن لورد كارادون كان يتحدث العربية، وتلك حقيقة اكتشفتها حين قابلته أثناء زيارة قام بها للقاهرة عام ١٩٧١م ممثلا لبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة.

قال لى لورد كارادون حين سألته كيف تعلم العربية: لقد عشت سنوات طويلة مع العرب فى فلسطين وتعلمت منهم اللغة لأننى كنت قريبا منهم، ثم قال: لقد بدأت حياتى ضابطا فى الجيش البريطانى فى فلسطين عام ١٩٢٩م، ومكثت هناك ثمانى سنوات،

كما أمضيت أربع سنوات أخرى أخدم فى الأردن، وعشت أيضا فى ليبيا.. إننى أعرف الشعب العربى جيدا وأكن له كل تقدير واحترام، أما الشعب الفلسطينى فتربطنى به علاقة عاطفية وأنا أعتبر نفسى فلسطينيا.

ولم يكن من الممكن ألا أسأل لورد كارادون عن قراره الشهير الذى حير العالم أجمع وهل هو ينص على الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة كما يفهم العرب أو من بعض الأراضى كما يصر الجانب الإسرائيلى؟

فعقد لورد كارادون حاجبيه الكثيفين وقال: إن معنى القرار واضح كل الوضوح، فمعنى أى وثيقة لا يؤخذ من جملة واحدة فيها، وإنما من تكامل المعنى فى كل أجزائها، والقرار رقم ٢٤٢ الذى قدمه الوفد البريطانى وأصدره مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧م ينص صراحة على عدم جواز ضم أراضى دولة إلى دولة أخرى بالقوة.

قلت: إن إسرائيل كثيرا ما تتملص من القرار برمته قائلة إن الأحداث قد تخطت فترة صدور القرار ولذلك فلا يجوز أن نتمسك بقرار صدر عام ١٩٦٧م قبل عقود مضت.

فقال لورد كارادون وهو مازال مقطبا: إن المبادىء ليست مثل (الموضة) تتغير كل عام، فالمبادىء – إذا كانت مبادىء – يجب أن تكون ثابتة، ولا يهم بعد ذلك فى أى عام نحن، ومبادىء حل مشكلة الشرق الأوسط موجودة فى القرار ٢٤٢ وليست فى مكان آخر.

وكان لورد كارادون يرى أن تحقيق التسوية النهائية للصراع العربى الفلسطينى لن يأتى إلا من خلال المنظمة الدولية، فهو لم يكن يؤمن بالمبادرات الأخرى، سواء أكانت من جانب الولايات المتحدة أم غيرها، وقد قال لى صراحة حين سألته عن أن الولايات المتحدة هى التى تملك الحل بحكم علاقتها الخاصة بإسرائيل:

إن تلك العلاقة الخاصة تجعل الولايات المتحدة طرفا فى القضية، وبالتالى فهى لا تستطيع أن تأتى بالحل العادل الذى يرضى الجانب العربى مثلما يرضى الجانب الإسرائيلى.

وعن القضية الفلسطينية التى كان يقول دائما إنها قريبة إلى قلبه، قال لورد كارادون: إن علينا أن نعطى الفلسطينيين حلا عادلا يستطيعون قبوله.

وأحسست أنه غير راض عن عما يطرح على الفلسطينيين من حلول جزئية، وأنه ربما يلمح لضرورة قيام دولة فلسطينية كحل نهائى لمشكلة الشعب الفلسطينى فسألته: ماذا تقصد بالحل الذى يستطيعون قبوله؟

قال: أقصد أنه من العبث أن يكون الطريق الوحيد كى يعيش الفلسطينيون فوق أراضيهم هــو أن يصبحــوا مواطنــين إســرائيليين، وإذا كان لنا أن نعطيهم فرصــة الخيار فلنعطها لهم كاملــة، أى أن نمنحهم اختيارا واضحا يتضمن كل ما يترتب عليه من حقوق تتفق مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمشكلتهم والتى صدرت منذ عام ١٩٤٨م لكنها لم تنفذ.

ثــم صمت قليلا وعاد يقــول: لقد قلت مرارا فى الأمم المتحــدة إن الذى يعارض عودة الفلسطينيين إلى ديارهم إنما هو عدو للسلام العادل.

سألته: هل أنت متفائل من إمكانية إيجاد حل للقضية الفلسطينية؟

قال بلا تردد: إن ثقتى فى الشــعب الفلســطينى كبيرة جدا، وهم لن يتركوا حقوقهم بــأى حال من الأحوال، فإذا لم يتمكن المجتمع الدولى من إيجاد الحل لمشــكلتهم، فإنهم سيجدونها بأنفسهم.. ربما بالقوة.

كان ذلك فى أوائل عام ١٩٧١م، واليوم حين أنظر إلى ما حدث لقضية الشــرق الأوســط أجــد أن لــورد كارادون كان لــه بعد نظــر لم نلتفت إليه آنذاك، فهــا هى ذى محاولات التســوية التى اعتمدت على الولايات المتحدة على أساس أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعب قــد باءت بالفشــل ومضت عدة عقود منــذ اعتمدناها دون أن تحل القضية الفلســطينية، وها هو ذا الشعب الفلسطينى بعد أن عجز المجتمع الدولى عن تحقيق السلام الذى يتطلع إليه يحاول أن يضع دولته بيده وبالقوة كما قال لورد كارادون.

لقد كان لورد كارادون الذى توفى عام ١٩٩٠م، يمثل نوعية فريدة من رجال الإمبراطورية البريطانية، فقد علمته فترة خدمته فى فلسطين والأردن وليبيا أن حق الشعوب فى الاستقلال هو حق مقدس لا تمكن مقاومته أو إغفاله، ولن أنسى أبدا قوله لى وهو يضحك:

إننى لم أخدم فى مستعمرة من مستعمرات الإمبراطورية البريطانية إلا وخرج منها العلم البريطانى ورائى!

❑❑❑

بيل جيتس:
لن أترك ثروتى لأولادى!

حين قابلت بيل جيتس كنت حريصا على اكتشاف الجانب الآخر من هذا الرجل الذى يعتبر أغنى رجل فى العالم والذى لا يزيد عمره على الـ ٥٠ عاما، وقد وجدت خلف صاحب البلايين – وليس الملايين – إنسانا يتمتع بضمير اجتماعى يقظ جدا ويعتقد أنه إذا كان قد حقق هذا الثراء الأسطورى فإن ذلك يجعله مدينا للمجتمع الذى مكنه من ذلك.

من المعلومات التى أذهلتنى فى سيرة بيل جيتس أنه بدأ عمله على تطوير الكمبيوتر وهو مازال طالبا بالجامعة، وأنه استطاع أن يجمع تلك الثروة الطائلة التى جعلته أغنى رجل فى العالم وهو مازال فى الأربعينيات من عمره حتى وصل الآن إلى أن أصبح أغنى رجل فى التاريخ الإنسانى الحديث.

ولقد صنع بيل جيتس ثروته بذكائه وبجهوده الشخصية ولم يرث منها مليما واحدا. فهو أكبر عبقرية فى العالم الآن فى برمجة الكمبيوتر رغم أنه لم يكمل دراسته الجامعية التى قضى منها ثلاث سنوات فقط بجامعة هارفارد العريقة، لكنه تركها ليؤسس مع صديق له شركة (ميكروسوفت) التى تعتبر الآن أكبر شركات تكنولوجيا المعلومات فى العالم، وقد وصل رأسمالها إلى ١٥٠ مليار دولار. أى ضعف إجمالى الدخل القومى المصرى. أما دخل الشركة فهو ٣٥ مليار دولار سنويا.

وبيل جيتس يهتم اهتماما شديدا بتطوير التكنولوجيا داخل شركته حتى أنه رصد مبلغ ٦,٨ مليار دولار من ميزانية الشركة للأبحاث والتطوير، وهو إلى جانب كونه رئيس مجلس إدارة (ميكروسوفت) فقد احتفظ لنفسه أيضا بموقع المسئول عن التطوير فى الشركة حتى يشرف على ذلك بنفسه.

ومن المعروف أن بيل جيتس يضيف إلى ثروته الطائلة مليون دولار كل ساعة، لهذا قيل إنه لو سقط منه فى الطريق عشرة آلاف دولار فمن الأفضل أن يتركها ويمضى إلى عمله حيث إن الثوانى التى سيقضيها فى التوقف لالتقاط هذا المبلغ ستتكلف من وقت عمله أكثر من قيمة المبلغ نفسه.

ولقد قابلت بيل جيتس أثناء زيارته للقاهرة عام ٢٠٠٤م وكان أول سؤال وجهته له هو: ما هو الإنجاز الأكبر الذى تشعر بالرضا لأنك حققته؟.. قال بلا تردد: إن الكمبيوتر صار هو أداة التعليم الأولى فى العالم فأصبح التعليم فى متناول الجميع.

فى كتاب ألفه بيل جيتس بعنوان (الطريق الذى أمامنا) The Road Ahead قال: إن التعرف على مستوى دخل الفرد فى الماضى كان بالسؤال عن البلد الذى ينتمى إليه، أما الآن فإن ما يحدد مستوى دخل كل فرد هو نوعية التعليم الذى حصل عليه. ولقد ثبت أن طلبة المدارس الذين يمتلك آباؤهم جهاز كمبيوتر يحققون نجاحا أكبر فى دراساتهم من زملائهم الذين لا يستخدمون الكمبيوتر، لذلك اهتم بيل جيتس بأن يوفر الكمبيوتر فى جميع المكتبات حتى يكون فى متناول الجميع.

وقد ذكر بيل جيتس إنه قرأ وهو طالب دائرة المعارف كلها (!) حيث كان يبدأ بكل حرف على حده إلى أن ينتهى منه فيبدأ فى الحرف التالى حتى انتهى من دائرة المعارف كلها، لكن أى طالب الآن أصبح بمقدوره أن يطلع على أية معلومة فى دائرة المعارف عن طريق الكمبيوتر دون أن يقرأها أو يضطر لحفظها.

قلت لبيل جيتس: يتصور البعض أنك تمضى الجزء الأكبر من وقتك فى محاولة إنفاق هذا المال الطائل الذى تملكه فضحك وقال بل إنى أمضى معظم وقتى فى العمل، فأنا أمضى حوالى ١٤ ساعة فى اليوم فى العمل بينما قوانين العمل الدولية تحدد ساعات العمل اليومية بثمانى ساعات فقط، وقد ظللت أفعل ذلك منذ أسست شركة (ميكروسوفت) وأنا فى العشرين من عمرى.

قلت: لكن لابد أن يشغلك ما تريد أن تفعله بهذه المليارات.. قال تلك مسألة لا تشغلنى على الإطلاق لأننى وصلت فيها إلى قرار منذ سنوات، فهذا المال جاءنى من المجتمع، لقد تمكنت من خلال اجتهادى أن ألبى احتياجات أساسية للناس فكافأنى المجتمع بسخاء، لذلك فأنا أحب أن يعود هذا المال مرة أخرى إلى المجتمع، قلت: كيف؟. هل ستتبرع به بالكامل للأعمال الخيرية؟.. قال: البعض منه فقط سأهبه لأعمال الخير، لكن الجزء الأكبر سيذهب إلى الاستثمارات الخاصة بتطوير المجتمع، فإن ما يحدد سلامة أى مجتمع هو حجم الأموال التى تنفق فى تطوير المستقبل وليس ما ينفق للاستهلاك فى الحاضر.

وكنــت قد قرأت أن بيــل جيتس لن يهب أولاده ثروته الضخمة فســألته: ألن تترك أى شىء لأولادك؟.. قال: إن لى ثلاثة أولاد أحبهم حبا كبيرا جدا، وأنا أعتقد أن الثروة المتضخمة تفســد الإنســان، وأن المليارات قد تتعس أولادى أكثر مما تســعدهم، كما أننى أعتقــد أن المجتمع أحق بهذا المال، لكنى أعتقد أيضا من حقى وقد بذلت مجهودا كبيرا أن أتــرك لأولادى المــال الذى يجعلهم أغنياء، لذلك فإنى ســأترك لكل واحد من أولادى الثلاثــة مبلغ عشــرة ملايين دولار، لكــن باقى هذه الثروة يجــب أن تعود إلى المجتمع. قلت: وأنت؟.. لماذا لم تفسدك تلك المليارات؟.. قال: لأنى لا أعتبرها ملكا لى أنفقها على ملذاتى. فهى نتاج لعمل متواصل لى ولغيرى من أعوانى لذلك فهى ملك للشركة، أما دخلى الشــخصى فإنى أنفق منه ما احتاجه أنا وأســرتى لنحيا حياة سعيدة، لكن الجزء الأكبر يذهــب لخدمــة المجتمع، فأنا أقوم بتمويل أبحاث عمليــة كثيرة لإيجاد علاج للأمراض المستعصية مثل (الإيدز).

وقد أسست شركة ICOS للعلاج بالبروتين، فأنا مهتم جدا بالاكتشافات الطبية ولا أنام قبل أن أطلع على أحدث الاكتشافات العلاجية.

قلت لبيل جيتس: ماذا تتوقع لتكنولوجيا المعلومات فى القرن الـ ٢١؟ قال: إن التقدم العلمى أصبح يجرى بخطوات واســعة فى عصرنا هذا بحيث لم يعد بمقدور أحد أن ينظر بعيدا ويتنبأ بما سيحدث فى نهاية القرن. إن أقصى ما نستطيع التنبؤ به هو ما قد يحدث فــى نهاية العقد وليس فى نهاية القرن. قلــت: وماذا تتوقع للكمبيوتر فى نهاية العقد؟.. قال: أن يصبح حجمه أصغر بكثير من حجمه الحالى وأنه بالصوت بحيث نصدر له أوامرنا شــفاهة ودون أن نضطر لكتابتها، كما أتوقع خلال السنوات القليلة القادمة أن تزيد سرعة عمل الكمبيوتر لتصل إلى سرعة التليفون بحيث ما أن تنتهى من الأمر الذى أصدرته حتى يبدأ تنفيذه إن ذلك سيوفر وقتا كبيرا جدا نقضيه أمام شاشة الكمبيوتر فى الانتظار.

❑❑❑

داليـدا:
أصبحت مطربة بالمصادفة!

تربعت المطربة الفرنسية الجنسية، الإيطالية الأصل، المصرية المولد، داليدا، على عرش الغناء فى فرنسا لأكثر من ٣٠ عاما، منذ تركت حى شبرا بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٥٤م بحثا عن النجاح فى عاصمة النور، وهو النجاح الذى لم يتأخر كثيرا، فقد جاءها حين ذاع حيث أغنيتها (بامبينو) عام ١٩٥٦م، وقد لازمها هذا النجاح إلى أن قررت إنهاء حياتها فى مايو ١٩٨٧م ففاجأت بذلك الكثيرين لكنى أنا لم أفاجأ..

محمد سلماوى مع داليدا وشقيقها أورلاندو فى قصر الرياضة بباريس

ولقد روت لى داليدا أنها منذ طفولتها وهى تحلم بالنجومية، لكن ظروف نشأتها المتواضعة فى القاهرة كانت تذكرها دائمًا بالواقع الذى تعيشه والذى كان يقنعها بأن كل آمالها فى النجومية ما هى إلا أحلام، فقد كان والدها يعمل عازفا للكمان فى أوبرا القاهرة القديمة. وبعد وفاته كانت والدتها تحيك ملابس المدارس لأحد المحلات الكبرى فى القاهرة حتى تصرف على أولادها الثلاثة فكانت تقتصد فى القماش الذى يسلمه لها المحل حتى تتمكن من توفير ما يسمح لها بعمل ملابس المدرسة لأولادها أيضا.

قالت لى داليدا: أسئلتك تختلف عن بقية من يوجهون لى الأسئلة، فأنت دائمًا تسألنى عن الماضى وليس عن أحدث أغنياتى، ثم ضحكت وهى تقول: هل ستكتب عنى كتابا؟ قلت: لقد كتبت عنك كتبا كثيرا لكن حياتك تستحق أن يكت.ب عنها المزيد، فليس من السهل أن تتربع مطربة على قمة المجد طوال هذا الوقت وتظل المطربة المحبوبة رغم تغير الأمزجة الموسيقية من حقبة إلى أخرى، قالت: قد تعجب إذا قلت لك إننى لم أكن أنوى أن أصبح مطربة وإنما ممثلة سينمائية! ولاحظت داليدا علامات الدهشة على وجهى فقالت: صدقنى، لقد كانت

أحلامـــى كلهـــا وأنا طفلة صغيرة فى حى شـــبرا معلقة بتلك الملصقـــات الكبرى التى كنت أشاهدها على واجهات دور السينما لهيدى لامار وآفا جاردنر وريتا هيوارث.

كنا فى قصر الرياضة بباريس حيث كانت داليدا تقوم بعمل التدريبات على حفلها الغنائى الجديد، وجاء موعد الغداء فتناولت فنجانا من الشاى الساخن وقالت لى: هذا هو غدائى إلى أن أعود للمنزل لكن يجب أن يكون الشـــاى حارقا *brulant* فهذا هو ما يمنحنى النشاط، وإذا لم يكن حارقا لا أشربه.

قلت: وما هى قصتك مع التمثيل؟ قالت: كانت البداية فى مدرسة الراهبات الفرانسيسكان بالقاهرة حين مثلت دور إزيس فى حفل نهاية العام، وبعد ذلك بسنوات قرأت فى جريدة (جورنال ديجيبت) إعلانا عن مســـابقة للجمال فاشتريت مايوها وذهبت إلى الأوبيرج دون أن أخبر أحدا وشاركت فى المسابقة، لكن من سوء حظى أننى فزت فنشرت صورتى بالمايوه فـــى صحف اليوم التالى، وهكذا عرفت والدتى بما حدث فعاقبتنى بأن قصت لى شـــعرى، وتضحك داليدا ثانية وهى تقول: لكن ما أن طول شعرى ثانية حتى نسيت عقاب والدتى وهرعـــت إلى منطقة الأهرامـــات حيث كان يتم تصوير فيلم أمريكى تجرى أحداثه بين آثار مصر القديمة وكان بطولة ريتا هيوارث وروبرت تيلور وكانوا يبحثون عن بعض الكومبارس، ورغـــم أنهم لم يأخذونى إلا أنى على الأقل شـــاهدت ريتا هيـــوارث التى كنت مغرمة بها وكنت كثيرا ما أغنى أغنيتها الشهيرة (أمادو ميو) التى غنتها فى أحد أفلامها، ثم تلقيت بعد ذلك بقليل عرضا من المخرج المصرى الراحل نيازى مصطفى لأقوم بدور ثانوى فى فيلم كان يخرجه فى ذلك الوقت لسامية جمال اسمه (سيجارة وكاس).

قلت: إن من يشـــاهد الفيلم يلاحظ على الفور التشـــابه بينك وبين ريتا هيوارث خاصة ذلك الشعر الهائج الذى كان أحمر فى حالتها أسود فى حالتك، لقد غنيت أيضا فى الفيلم مثل ريتا هيوارث، ومن يشـــاهد الفيلم يجـــب أن يخفق قلبه لذلك الصوت الدافىء العميق الذى كان لتلك الممثلة الناشئة التى اختار لها نيازى مصطفى اسم (دليلة).

قالت: إن دليلة كانت ممثلة تغنى، أما داليدا فهى الآن مطربة تمثل.

قلت: كيف تحول الاســـم من دليلة إلى داليدا؟ قالت: حين ســـافرت إلى باريس كانوا يداعبوننى طوال الوقت ويسألوننى: ماذا فعلت بشمشون؟ ثم اقترح على مكتشفى ذات يوم أن أغير الاسم قليلا ليصبح داليدا بدلا من دليلة، قلت له: لكن لا أحد اسمه داليدا قال: ستكونين أنت وحدك صاحبة هذا الاسم.

قلت لداليدا: كيف لم تدركى حين غنيت فى فيلم (سيجارة وكاس) أنك ولدت لتكونى مطربة؟

قالت: كنت ما زلت أبحث عن نفسى، وحين سافرت إلى باريس فى نهاية عام ١٩٥٤م كان ذلك بغرض البحث عن النجومية فى عالم السينما، وقد وضعت كل ما قمت بتحويشه من مرتبى فى مصر فى تذكرة باريس هذه.

قلت ماذا كنت تعملين؟ قالت: سكرتيرة فى شركة للاستيراد والتصدير، وكان مرتبى ١٢ جنيها!!

قلت: لكنك حين وصلت باريس عملت بالغناء منذ البداية ولم تعملى بالتمثيل، قالت: كانت تلك هى الفرصة الوحيدة المتاحة أمامى، فعملت فى الكباريهات مطربة كى أستطيع أن أعيش، لكن مضت حوالى سنة ونصف ولم أتقدم خطوة واحدة لا فى التمثيل ولا حتى فى الغناء، فأنا لم أذهب إلى باريس للغناء فى الكباريهات.

ثم تبتسم داليدا وهى تقول: ومن الطريف أن جارى فى نفس الدور الذى كنت أسكن به فى باريس كان شابا وسيما له نفس أحلامى فى التمثيل، وكان يقول لى: يا بختك! فأنت على الأقل تعملين فى كباريه وتحصلين على أجر فى نهاية اليوم، أما أنا فبلا عمل، لكن القدر حقق لهذا الشاب حلمه بعد ذلك وأصبح ممثلا مشهورًا اسمه (آلان ديلون).

قلت: وكيف أصبحت المطربة الكبيرة بعد ذلك قالت: بالمصادفة، ففى أبريل عام ١٩٥٦م حزمت حقائبى وقررت العودة إلى مصر بعد أن فشلت فى تحقيق أحلامى، وعندئذ دعيت للغناء فى مسرح الأولمبيا الشهير الذى كان يقيم فى يوم إجازة المسرح حفلا مفتوحا للمواهب الغنائية الشابة تحت عنوان (نجوم الغد)، فأخرجت فستان السهرة الوحيد الذى كنت أملكه من شنطة السفر، وذهبت إلى الحفل، لكنى عدت من هذا الحفل لأخرج بقية ملابسى وأعدل عن السفر نهائيا، فقد استمع إلىّ فى مسرح (الأولمبيا) مدير إذاعة أوربا رقم واحد لوسيان موريس ووقع فى غرام صوتى من أول لحظة ثم وقع بعد ذلك فى غرامى أنا شخصيًا ووقعت فى غرامه من أول مقابلة، كما كان موجودًا بالمسرح أيضا صاحب شركة اسطوانات جديدة هو إيدى باركلاى الذى كان يبحث عن أصوات جديدة تكون شركته هى صاحبة حق تسجيل أغنياتهم، وكانت تلك مصادفة غريبة حددت مسار حياتى الفنية

بعد ذلك فاتجهت إلى الغناء لأن من يحصل على عقد سخى لتسجيل اسطوانات لا يمكن أن يرفض قائلا إنه يريد أن يكون ممثلا فقط.

وقد قابلت داليدا بعد ذلك فى مناسبات متعددة كانت آخرها حين جاءت إلى مصر تصور فيلم (اليوم السادس) ليوسف شاهين، فمن المصادفة أن أول فيلم مثلته كان لمخرج مصرى هو نيازى مصطفى وآخر فيلم مثلته كان لمخرج مصرى أيضا هو يوسف شاهين، وكانت داليدا قد مثلت أكثر من فيلم فى فرنسا منذ تحولت إلى نجمة لامعة فى عالم الغناء، لكنها كانت كلها أفلاما بلا قيمة فنية كبيرة.

كنا فى حفل عشاء بمنزل أحد الأصدقاء فى الزمالك وكانت داليدا تستعد للعودة إلى باريس فى اليوم التالى بعد أن أتمت تصوير مشاهدها فى الفيلم.

فى تلك الليلة كانت تبدو ساهمة شاردة الذهن، كانت تلك البهجة التى أحاطت بها فى سنواتها الماضية قد ولت ليحل مكانها حزن لا تخطئه العين، اقتربت منها وقلت لها: ها أنت قد حققت كل أحلام الطفولة فصرت نجمة لامعة فى عالم الغناء والتمثيل أيضا، فلم تعلق واكتفت بالقول: أمازلت تذكر؟ ثم أخذت تنظر للكأس التى أمامها وهى تسبح فى عالم آخر وفجأة رفعت بصرها إلىّ وقالت: ما قيمة أن يحقق المرء أحلامه فى الحياة العامة ويفشل فى تحقيقها فى حياته الخاصة؟!

وكانت تلك هى مأساة داليدا الحقيقية، فقد أمضت حياتها تتسلق سلم المجد والنجاح بالعرق والدم والدموع وحين وصلت إلى قمته وجدت نفسها وحيدة كانت حياتها الخاصة خاوية لا حب فيها ولا زوج ولا أسرة، وكثيرا ما قالت داليدا فى أحاديثها إنها كانت دائما تعيسة فى الحب، وإنها تعرف أن الإنسان لا يستطيع الحصول على كل شىء، لكنها كانت بهذا القول تدارى أحزانها فقد كانت فى داخلها تعانى من الوحدة القاتلة التى يزداد إحساس الإنسان بها حين تحيطه أضواء النجاح الساطعة والتى كثيرًا ما تفصل بينه وبين الحياة الحقيقية.

وبعـد أسـابيع قليلة من مقابلتى الأخـيرة مع داليدا، صرفت داليـدا خادمتها وحين صـارت وحدها فـى منزلها بحى مونمارتر بباريس كتبت علـى ورقة صغيرة جملة واحدة هى: (سامحونى فالحياة أصبحت غير محتملة!) ثم ابتلعت كمية من الأقراص المنومة بحثا عن نوم عميق وأبدى، فهل انتهت ياترى آلامها؟!

❑❑❑

أنتونى ناتنج:
أنـا راعـى أغنـام!

حين توفى السيد أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى عام ١٩٩٥م كان بذلك آخر رجال السياسة النبلاء الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن المبادىء التى آمنوا بها، فقد ضحى ناتنج بمستقبل باهر كان ينتظره حين استقال احتجاجا على قيام وزارة أنتونى إيدن بالعدوان على مصر عام ١٩٥٦م، ومثلما أنهت تلك الحرب الحياة السياسية لإيدن، فقد أنهت الحياة السياسية لأنتونى ناتنج.

أنتونى ناتنج وجمال عبد الناصر أثناء توقيع إتفاقية الجلاء عن مصر عام ١٩٥٤م

كان السير أنتونى ناتنج هو وزير الدولة للشئون الخارجية فى وزارة أنتونى إيدن التى تآمرت مع كل من فرنسا وإسرائيل فى شن حرب السويس على مصر عام ١٩٥٦م، وبسبب هذه الحرب استقال الوزير الشاب من الحكومة وكان فى الـ ٣٧ من عمره وأمامه مستقبل سياسى باهر.

ولم تكن استقالة ناتنج مفاجئة، فقد كان هو الذى رأس الوفد البريطانى فى مفاوضات الجلاء مع مصر عام ١٩٥٤م ولم يكن ليرتاح ضميره لمحاولة احتلال مصر بعد سنتين من التوقيع بنفسه على اتفاقية الجلاء مع جمال عبد الناصر.

فى ذلك الوقت حاول زعيم المحافظين المخضرم هارولد ماكميلان إثناء ناتنج عن الاستقالة من البرلمان أيضا، قائلا له إنه أوضح وجهة نظره بالاستقالة من الوزارة وهذا يكفى، خاصة أن جماهير الحزب تنظر إليه باعتباره الزعيم القادم للمحافظين، لكن ناتنج رفض ذلك رفضا باتا قائلا إن وجوده داخل البرلمان يحتم عليه أن يدافع عن حكومة حزبه وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك فيناقض ضميره.

ولقد قابلت أنتونى نانتج للمرة الأولى عام ١٩٧١م حين حضر إلى القاهرة لجمع بعض المادة التاريخية اللازمة لكتابه الشهير عن جمال عبد الناصر والذى صدر فى العام التالى والذى يعتبر اليوم مرجعا أساسيا فى المكتبة البريطانية عن الزعيم العربى الراحل وخلال الفترة التى أمضاها ناتنج فى القاهرة اقتربت وحاولت مساعدته بقدر ما أستطيع، فقد كنت معجبا بذلك السياسى البريطانى النبيل الذى كان يمثل طرازا مختلفا تماما عن رئيس وزرائه أنتونى إيدن، وقد ازداد إعجابى به حين عرفته على المستوى الشخصى فوجدت فيه خصائص (الجنتلمان) الإنجليزى الذى كانت تفتقده الحياة السياسية البريطانية.

وقد كان ناتنج يعتبر أن خطأ إيدن الرئيسى بتفكيره الاستعمارى القديم هو أنه لم يفهم ما يمثله عبد الناصر على الساحة الدولية كرمز لقادة العالم الثالث المتطلعين إلى التحرر والاستقلال، فقد كان ينظر إليه من منظور غربى ضيق لا يرى فيه إلا مشروعًا هتلريا جديدا فى العالم العربى وينبغى القضاء عليه قبل أن يستفحل.

أما أنتونى ناتنج فكان قبل حرب السويس يمثل جيلا جديدًا من رجال السياسة البريطانية بعد جيل إيدن وماكميلان وكانت تتطلع إليه الأنظار ليحتل فى يوم قريب موقعه فى المنزل رقم ١٠ بشارع داوننج وهو مقر رئيس الوزارة، لذلك فقد قربه إيدن وظل محل ثقته لسنوات، وحين جاءت مفاوضات الجلاء مع مصر اختاره رئيسا للوفد البريطانى لثقته فيه.

وفى غرفته بالفندق الذى كان ينزل به فى القاهرة حدثنى أنتونى ناتنج عن تعامله مع عبد الناصر من خلال مفاوضات الجلاء وقال لى إنه اكتشف أن تحيز إيدن ضده ليس فى محله، وحين قام عبد الناصر بتأميم القناة قال إيدن لأنتونى ناتنج فى غل واضح (سأجعل عبد الناصر

يتقيأ – يطفح – القناة التى ابتلعها) واستخدم الكلمة الإنجليزية Disgorge وكأنه يتحدث عن حيوان ابتلع فريسة عنوة وأنه سيرغمه على أن يلفظها من حلقه وحين نشرت حديثى مع ناتنج فى ذلك الوقت لم أستطع نشر تلك الواقعة فقد كان رحيل عبد الناصر لم يمض عليه أكثر من ستة أشهر وتصويره بهذا الشكل كان سيجرح مشاعر الناس.

وفى الحرب التالية بين العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧م حاول ناتنج زيارة الأراضى الفلسطينية التى احتلتها إسرائيل والإطلاع على أحوال الفلسطينيين فيها وكان ذلك فى عام ١٩٦٩م لكن إسرائيل رفضت دخوله لما تعرفه عن مواقفه السياسية، وقد أخبرنى ناتنج أنه منذ ذلك الوقت كان يعتبر نفسه فلسطينيا وقال (أنا واحد من هؤلاء الآلاف الذين طردتهم إسرائيل بلا محاكمة).

أما مقابلتى الثانية لناتنج فكانت فى الثمانينيات أثناء إحدى زياراتى لبريطانيا حيث دعانى إلى منزله خارج لندن فتعرفت على زوجته آنذاك (ليدى آن) وفى هذا اللقاء أكد لى ناتنج لأول مرة أن إيدن كان قد رتب لاغتيال عبد الناصر بعد تأميمه للقناة، وأنه لجأ إلى العدوان على مصر فقط بعد أن فشلت محاولة الاغتيال.

وأهدانى ناتنج فى هذه المقابلة نص محاضرة ألقاها فى الولايات المتحدة عن الحق العربى فى فلسطين وجدت فيها أبلغ ما كتب فى الغرب عن الاحتلال الصهيونى لفلسطين، وهو ما كان يعرفه ناتنج جيدا ليس فقط كرجل سياسة قريب من الشرق الأوسط وإنما أيضا كباحث مدقق فى تاريخ هذه المنطقة، فقد أصدر عدة كتب كلها عن العالم العربى كان أولها كتابه المرجع (العرب) وكذلك تاريخ حياة لورنس العرب وهو الكاتب الذى قام عليه فيلم هوليود الشهير، وكتاب ثالث اسمه (رأيت بنفسى) يضم مجموعة مقالات كتبها للصحافة الأمريكية بعد استقالته، بالإضافة بالطبع لكتاب (ناصر) الذى صدر بعد سنتين من رحيل عبد الناصر.

وفى عام ١٩٩٥م كانت مقابلتى الأخيرة مع أنتونى ناتنج، وكان ذلك فى ضيعته بناحية سوذر لاند، وكان الزمن قد ترك آثاره على السياسى البريطانى العجوز الذى كان مازال ذلك الرجل فارع الطول الذى قابلته لأول مرة فى القاهرة قبل ذلك بحوالى ربع قرن، لكن وسامته الأسطورية كانت قد ولت وكانت الكهولة قد ألقت عليه بثقلها فانحنى ظهره بشكل ملحوظ، أما وجهه الذى كان يشبه وجوه ممثلى هوليود، فقد زحفت إليه التجاعيد وإن ظلت ابتسامته محتفظة برونقها القديم.

سألته: كيف تمضى وقتك الآن ياسير أنتونى؟ قال: أنا الآن راعى أغنام، فقد تركت السياسة منذ زمن، وأنا سعيد الآن بحياة الريف الهادئة بين هذه الحيوانات الأليفة، ونادرا ما أذهب إلى لندن، ثم أخذنى السير أنتونى فى جولة بين أغنامه التى كان لكل منها اسم كآدميين.

قلت: ألا تحن بين الحين والآخر للسياسة؟

قال: لقد مارست السياسة بخلق لذلك فلست نادما على شىء، كما أننى خرجت منها بضمير مستريح تماما، ولا أشعر فى سنى هذه برغبة فى العودة إلى حلبة السياسة مرة أخرى.

قلت: لقد كلفتك مبادئك الكثير حتى أن حياتك السياسية تكاد تكون انتهت بحرب السويس.

فابتسم ناتنج وقال: لقد انتهت الحياة السياسية لأنتونى إيدن أيضا بحرب السويس، لكن فى حالتى هى انتهت بإرادتى وليس بحكم الظروف، لذلك فالنهاية لم تترك لى أى نوع من المرارة فى حلقى.

وبعد لحظة تفكير عاد أنتونى ناتنج ليقول: لقد كنت أتمنى أن أخدم الأفكار التى آمنت بها من خلال العمل السياسى، لكنى خدمتها بدلا من ذلك عن طريق الكتابة، وكان ذلك أشرف.

وبعد هذا اللقاء بسنوات معدودات توفى السير أنتونى ناتنج ٧٩ عاما نبيل السياسة البريطانية الذى اقتنع بالحق العربى فرفض أن يتنازل عنه مقابل ما كان ينتظره من مستقبل سياسى كبير.

❑❑❑

إمبراطورة إيران:
هوايتى أن أطلب بالتليفون من لا أعرفهم!

دهشت حين قالت لى إمبراطورة إيران السابقة فرح ديبا إنها كلما اشتد بها الحنين لإيران، واشتاقت للتحدث إلى أحد من أبناء وطنها، قامت بطلب أى رقم فى إيران دون أن تعرف صاحبه فى محاولة لأن تتواصل مع من يرد على مكالمتها فى حديث كل الغرض منه أن تلبى حنينها لوطنها الذى تركته مع زوجها الشاه قبل أكثر من ربع قرن من الزمان والذى تخشى ألا تراه ثانية.

التقينا فى القاهرة على مائدة عشاء الدبلوماسى المصرى المرموق على تيمور الذى تربطه وزوجته علاقة صداقة قوية مع إمبراطورة إيران السابقة منذ كان يشغل منصب مدير المراسم بالأمم المتحدة، وعلمت من الإمبراطورة السابقة التى تحضر لمصر سنويًا فى ذكرى رحيل زوجها يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٠م أنها تحرص على زيارة قبر الشاه بجامع الرفاعى، وعادة ما يقيم لها على تيمور وحرمه فى كل عام عشاء يدعوان له بعض الأصدقاء، وقد سعدت بأن وجدت مكانى على المائدة هذه المرة على يمين الشهبانو مباشرة حيث تجاذبنا أطراف الحديث خلال العشاء فى شتى الموضوعات الخاصة والعامة، ولقد وجدت فيها شخصية جميلة تتسم بالبساطة وتبدى اهتمامًا كبيرًا بمن يحدثها. فإذا كان كاتبًا سألته عن مؤلفاته وتناقشت معه فى القضايا الأدبية والثقافية التى تهمه.

على أن أمتع ما كان فى حديث الإمبراطورة السابقة هو حديثها عن تجربتها الشخصية وما مر عليها من أحداث منذ كانت فتاة تدرس الهندسة المعمارية فى باريس فإذا بها تتحول إلى زوجة شاه إيران وتنجب له وريثه الأول رضا بهلوى والذى أتم الآن فى منفاه عامه الـ ٤٥.

فقد كان زواج الشاه الأول من الأميرة فوزية أجمل شقيقات الملك فاروق، والتى أنجبت له ابنته الأولى الأميرة شاهيناز، لكن الزواج لم يدم طويلا حيث كانت طهران تبدو لفوزية فى ذلك الوقت مدينة ريفية بالمقارنة للقاهرة.

أمـا الزواج الثانى للشـاه فـكان من جميلة الجميلات ثريا إصفنديـارى ابنة أحد أكبر السـفراء الإيرانيين من زوجته الألمانية، لكن ثريا لم تنجب على الإطلاق فاضطر الشـاه إلى طلاقها رغم حبه الشديد لها.

ثـم جـاءت فرح ذات الـ ١٩ ربيعًا فأنجبت له أربعة أبنـاء، ولدين وبنتين، لكن مع فرح جاءت أشياء أخرى كثيرة لم تكن فى الحسبان فقامت الثورة عام ١٩٧٩م وطرد الشاه وعائلته من البلاد وجابوا العديد من دول العالم بحثا عن مأوى.

وتروى فرح ديبا بتأثر لكن دون مرارة كيف أن جميع دول العالم رفضت أن تستقبل الشاه وعائلته حتى أولئك الذين اتهموا الشـاه بأنـه كان عميلاً لهم مثل الأمريكيين، وتلك رواية لو كتبها أحد الروائيين ما صدقها أحد، فكيف يصحو واحد من أقوى ملوك العالم الجالس على عرش الطاووس الشاهنشـاهى ذات صباح ليجد نفسـه لا يملك من أمره شـيئًا بعد أن طرد من البلاد ورفض الجميع اسـتقباله، ولذلك فالشـهبانو السابقة لا تنسى لمصر وللرئيس السـادات أنه منحهم الجنسـية المصرية، وبالتالى حق الإقامة فى مصر بعد أن أمضوا وقتًا لا يحملون جوازات سفر ولا يعرفون إلى أين يذهبون فسافروا إلى المكسيك ثم إلى بنما بعد أن رفضت الولايات المتحدة استقبالهم، كما رفضتهم أيضًا فرنسا وبريطانيا.

وتقول لى فرح ديبا التى يعنى اسـم أسـرتها (الحرير) باللغة الفارسية: واليوم الجنسية الوحيدة التى أحملها هى الجنسية المصرية، وأنا أعتز بها لأن مصر بلد الإنسانية والحضارة، هى التى آوتنا فى وقت رفضتنا بقية الدول وسأتمسك بهذه الجنسية إلى آخر يوم فى حياتى رغم ما تسببه لى من المتاعب بين الحين والحين، تم تضحك وهى تروى لى عن الإجراءات التـى كثيرًا ما تتعرض لها فى بعض المطـارات خاصة فى الولايات المتحدة كلما أخرجت جواز سـفرها فوجدوا أنها من الشرق الأوسط وأنها مولودة فى إيران إلى أن يكتشف موظفو الأمن شخصيتها فيدعونها تمر.

وفى حديثها عن الولايات المتحدة تقول فرح ديبا إنه حتى حين سمح فى النهاية للشاه بدخول الولايات المتحدة للعلاج من السرطان الذى أودى بحياته بعد ذلك، منحته الإدارة الأمريكية تأشيرة دخول لمدة ٣ أشهر فقط، وحددت إقامته داخل غرفة المستشفى التى كان يعالج فيها والتى لم يكن يسمح له بمغادرتها.

وتبـدو على الشـهبانو علامات التأثر فأغير موضوع الحديث قائلاً لها: إنك تعيشـين الآن فى باريس حيث كانت تعيش الإمبراطورة الإيرانية السابقة ثريا حتى رحيلها أخيرًا، كمـا أنك تأتين كل سـنة إلى مصر حيث ما زالت تقيـم حتى الآن الإمبراطورة الأولى فوزية بالإسكندرية، فهل قابلت أيا منهما، فتقول: لا لم أقابلهما أبدًا، وقد كنت أتمنى أن أقابل ثريـا خاصة فى أيامها الأخيرة حين أصيبت هى الأخـرى بمرض زوجى، أما فوزية فأنا لا أذهب كثيرًا إلى الإسكندرية، لكنى قابلت ابنتها من الشاه الأميرة شاهيناز كثيرًا وتجمع بيننا علاقة ود دائمة.

ونظـرت إلى فرح ديبا التى تعدت الآن الـ ٦٥ رغـم احتفاظها برونقها، وتذكرت صور الفتاة ذات الـ ١٩ ربيعًا التى ملأت صحف ومجلات العالم حين تزوجها شـاه إيران عام ١٩٥٩م والتى وجدت نفسـها جالسـة بين يوم وليلة على عرش الطاووس فى إيران لكنها شـردت بعد ذلك مع زوجها وأولادها بين مختلف دول العالم وتحول الحرير الذى اقترن باسم أسرتها إلى أكثر الأنسجة خشونة طوال فترة ربع القرن الأخير.

وسألت فرح ديبا: هل تتوقعين العودة مرة أخرى إلى إيران؟ فقالت: ذلك الأمل هو الذى أعيش له ولو فقدته لفقدت الحياة معناها بالنسبة لى، إننى أنام فى الليل وأنا أحلم بالعودة لبلادى وأصحو فى الصباح بنفس الحلم، إننى أشعر بحنين جارف للسير فى شوارع طهران التـى أعرفهـا جيدًا، وللنظر إلى وجوه الناس فى الطريق، ومشـاهدة المبانى التى ما زالت ترسم فى مخيلتى.

ثـم تصمت امبراطورة إيران السـابقة دقيقة تبـدو عليها فيها علامـات التأثر فأحترم صمتهـا الذى تنهيه بضحكة خفيفة وهى تقول: أتعرف.. إننى فى بعض الأحيان أشـعر أن بى رغبة جارفة للتحدث إلى أبناء وطنى بأى طريقة فأمسك بالتليفون وأطلب أى رقم فى إيـران لأتحـدث إلى من يرد علىّ دون أن أعرفه ودون أن يعرف من أنا، فبمجرد التحدث بالفارسية لأبناء وطنى يشعرنى بآدميتى ويؤكد لى انتمائى لوطنى.

قلت: وهل يتقبل من تطلبينهم تلك المعاكسات التليفونية بصدر رحب؟ قالت: فى بعض الأحيان يغلقون السكة فى وجهى قائلين إن الرقم غلط، وفى أحيان أخرى قد تستمر المكالمة لبضع دقائق، فلدى حيل كثيرة أستخدمها، فى بعض الأحيان أقول لهم صراحة إننى سيدة كنت أعيش فى طهران وغادرتها منذ سنوات وأريد أن أسألهم على بعض معالم المدينة التى كنت أعرفها وهل ما زالت على حالها، والكثير منهم يهتم بى ويشرح لى بالتفصيل كيف تم هدم هذا المبنى أو تغير اسم ذلك الشارع، فأشعر كأننى فى إيران ولم أغادرها.

يوسف إسلام:
والدى كان يدندن بأغانى أم كلثوم!

للقائى بالمطرب البريطانى الشـهير كات ستيفنز قصة غريبة تدخل فها القدر فحدد لنا موعدا لم نختره نحن، وكات ستفينز هو مطرب (البوب) المحبوب فى السبعينيات والذى أشهر إسلامه وغير اسمه إلى يوسف إسلام، ولقد كتبت عنه مقالا فى نهاية عام ٢٠٠٤م ثم سافرت فى اليوم التالى لنشر المقال إلى روما لأجد القدر قد حدد لنا موعدا للقاء.

كان لقائى بيوسـف إسـلام فى أغرب مكان يمكن أن يجرى فيـه حوار صحفى، وهو سـاحة (جيانيكولو) الواقعة فوق قمة أحد الجبال السـبعة للعاصمـة الإيطالية روما، تلك الساحة التى تطل على أجمل مشهد للمدينة.

كنت قد وصلت إلى روما لحضور مهرجان أفلام البحر الأبيض المتوسـط المعروف باسـم (ميد فيلم) والذى شرفت فى ذلك العام بأن أكون رئيس لجنة تحكيم وفى قصر (مديتشى) التاريخى القديم والواقع أعلى درج أحد أشـهر ميادين روما وهو ميدان أسـبانيا كان حفل افتتاح المهرجان، وقد فوجئت أن وجدت يوسف إسلام يقف إلى جوارى فى الحفل حيث جاء ليتسلم جائزة (رجل السلام) التى تمنحها كل سنة مؤسسة جوربا تشوف الدولية وذلك لما قام به المطرب البريطانى الشهير فى التقريب بين الناس وخدمة قضايا السلام.

كان كات سـتيفنز هو مطرب الشباب المفضل طوال سنوات السبعينيات وكانت أغنياته هـى الأكثـر مبيعا فى ذلك الوقت، ومنها أغنيات (أحب كلبى) و (ماثيو وابنه) و (الجرح الأول هو الأعمق) وغيرها، لكنه فجأة اتجه إلى الإسلام وغير اسمه إلى يوسف إسلام، ومنذ ذلك الوقت وهو يقوم بأعمال خيرية كثيرة كرس لها دخل موسـيقاه التى ألفها وغناها فى السبعينيات والتى مازالت تباع بأعداد كبيرة وتدر عليه دخلا كثيرا، أما موسيقاه الحديثة فقد تحولت إلى الموضوعات الإسـلامية فأصدر ألبوما بعنـوان (خاتم الأنبياء) لاقى نجاحا كبيرا وألبوما آخر للأطفال بعنوان (أنا أنظر.. أنا أرى).

وفى نهاية عام ٢٠٠٤م تناقلت أجهزة الإعلام فى العالم اسـم يوسـف إسـلام بعد أن منعت السـلطات الأمريكية دخوله إلى الولايات المتحدة ولم يسـمح له بركوب الطائرة التى كانت ستقله من مطار لندن إلى نيويورك.

ولقد كتب الكثير فى هذا الموضوع الذى أكد العداء المستحكم للإسلام وكل من يعتنقه حتى لو لم يكن له أية علاقة – مثل يوسف إسلام – بجماعات التطرف، وإزاء الحرج الذى ولدته تلك الواقعة للسلطات الأمريكية قيل فى ذلك الوقت إنه قد وقع خطأ غير مقصود نتيجة لتشابه فى الأسماء.

وبدا ظهور يوسف إسلام فى حفل افتتاح مهرجان (ميد فيلم) بروما لتسلم جائزة جوربا تشوف للسلام وكأنه نوع من التحدى – المتأخر – من جانب الزعيم الروسى الكبير للولايات المتحدة بعد أن ترك منصبه.

حييت يوسف إسلام وعرفته بنفسى فقال: آه أنت رئيس لجنة التحكيم، ثم أضاف بالعربية (السلام عليكم)، قلت: لقد كتبت عنك مقالا قبل مغادرتى القاهرة مباشرة ولم أكن أتوقع أن ألتقى بك عند وصولى إلى روما، فقال بالإنجليزية مثلا مرادفا المثل العربى (العبد فى التفكير والرب فى التدبير).

وقبل انتهاء الحفل كنا قد اتفقنا على اللقاء فى اليوم التالى، وقال لى يوسف إسلام: إنى لم يبق لى فى روما إلا غدا فقط، وقد خصصته للذهاب مع أسرتى فى جولة سياحية قبل أن نغادر المدينة فلماذا لا تنضم إلينا؟

وبمراجعة تفاصيل الجولة السياحية وجدنا أن أفضل مكان يمكن أن نلتقى فيه هو عند وصولهم إلى ساحة (جيانيكولو) المطلة على مشهد روما الخلاب من على قمة الجبل فهناك ستنتهى الجولة مما كان سيتيح لنا فرصة للحديث.

كان الجو فى الساحة مشرقا رغم أننا كنا فى أوائل شهر نوفمبر ووصل يوسف إسلام فى سيارة كبيرة تنقله هو وزوجته وإحدى بناته ومدير أعماله، ووقفنا جميعا ننظر إلى روما من فوق قمة الجبل فى ذلك اليوم الجميل الذى توارت فيه السحب.

قال لى يوسف إسلام الذى ولد عام ١٩٤٨م لأب قبرصى وأم سويدية أنه قد حضر إلى مصر وزار الأزهر الشريف وهو فى طريقه لأداء العمرة، لكنه يعتبر نفسه نصف مصرى، لأن والده عاش فترة من حياته فى الإسكندرية وكان يتحدث العربية وأنه كلما كان يدندن بينه وبين نفسه كان ذلك بأغنيات أم كلثوم التى كان يحفظها عن ظهر قلب، قد ظل حتى وفاته يحتفظ فى دولاب ملابسه بالطربوش الذى كان يضعه على رأسه حين كان يعيش فى مصر.

وسألت يوسف إسلام: كيف وصلت إلى الإسلام؟ قال: إنها رحلة طويلة هدانى إليها القرآن الكريم وحده دون تدخل من أحد، فقد كنت غير راض عن حياة النجومية التى

كنت أعيشها والتى فرضت على أسلوبا من الحياة بعيدا كل البعد عن الروحانيات وبدأت أبحث عن نفسى فاقتربت فى فترة من الفترات من البوذية، ثم أعطانى شقيقى ترجمة إنجليزية للقرآن فقرأته فإذا بى أجد فيه كل ما كنت أبحث عنه، فهو دين عصرى يحض على الحب والسلام ويدعو للعدل والحق، وأذكر أننى قررت أن أتحول إلى الإسلام وأنا أقرأ سورة (الشعراء)، إن فى الإسلام كل ما نحتاج إليه لإقامة عالم قائم على التوازن والسلام، لكن البعض للأسف لا ينظرون إلى الإسلام إنما إلى المعارك التى تدور حول هذا الدين العظيم والتى لا تتصل بالمعانى والمبادئ النبيلة التى يقوم عليها.

قلت: هل تعتقد أن الثقافة والفنون يمكن أن تقرب بين الناس على مختلف أديانهم؟

قال: إن الله فى الإسلام جميل وهو يحب الجمال، والإسلام فى رأيى أجمل الأديان، وإن لم تر الجمال فى الإسلام فهذا يعنى أنك لا تنظر إلى الإسلام وإنما إلى شىء آخر، والناس فى الغرب عادة لا تنظر إلا لما يحدث فى الشارع من أعمال عنف ثم ينسبونها للإسلام، لكن ذلك يجعل لزاما علينا نحن المسلمين أن نقدم الصورة الصحيحة لديننا.

وسألت يوسف إسلام: ما هو فى رأيك أجمل ما فى الإسلام؟

قال على الفور: العلاقة المباشرة بين العبد وربه، فأنا مثلا اهتديت إلى الإسلام بلا وساطة من أحد، والإسلام ليس فيه كهنوت وعلاقة الإنسان بالله ليس فيها طرف ثالث ومن هنا قدسيتها.

واليوم يعتبر يوسف إسلام أحد أقطاب المجتمع الإسلامى فى بريطانيا حيث يقيم مع زوجته وبناته الأربع وابنه محمد وقد أقام مدرستين ابتدائيتين للمسلمين، ويرأس عدة جمعيات إسلامية تقوم بالأعمال الخيرية، وقد أصدر ألبوما موسيقيا جميلا يحمل عنوان (ليس لى مدافع تزمجر)، أما أجمل ما غناه كات ستيفنز بعد أن دخل إلى الإسلام فهو أغنية (طلع البدر علينا) التى استقبل بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخوله المدينة المنورة.

❑❑❑

الرئيس السادات:
أنا العبقرى الذى تتساءلون عنه!

تجمعت أسرة التحرير على مائدة (الدسك) المركزى لجريدة (الأهرام) تستمع إلى توجيهات رئيس التحرير المرحوم الأستاذ على حمدى الجمال حين دق فجأة جرس التليفون، وحرصا على ألا ينقطع حديث رئيس التحرير التقطت السماعة بسرعة وقلت فى صوت خفيض: أيوه نعم؟ فجاءنى صوت جهورى على الجانب الآخر يصيح: أهه أنا بقى يا سى على العبقرى إللى بتسألو عليه! قلت بلهفة: مين سيادتك قال: أنا أنور السادات! فقذفت بالسماعة بسرعة إلى الأستاذ على حمدى الجمال.

كنا فى عام ١٩٧٦م وكان قد تقرر أن يتم إرسال مومياء رمسيس الثانى أعظم فراعنة مصر إلى فرنسا، وتناقلت الصحف الخبر ما بين مؤيد ومعارض، وفى يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٦م سافرت المومياء إلى فرنسا ووصلت بعد ظهر ذلك اليوم إلى مطار (لوبورجيه) خارج العاصمة الفرنسية حيث أعد لها استقبال ملكى لا يحظى به إلا الملوك والرؤساء.

وكان رمسيس الثانى قد امتد حكمه لأكثر من ٦٠ عاما من عام ١٢٧٩ قبل الميلاد وحتى عام ١٢١٣ قبل الميلاد حقق خلالها أمجادا عسكرية تشهد عليها جداريات معبده الجنائزى فى الأقصر، ثم توفى وقد تخطى عامه الثمانين وهو ما كان يعتبر حادثا استثنائيا فى تلك العصور، وإذا كانت تماثيل رمسيس الثانى قد تميزت بارتفاعها الشاهق فإن مومياء رمسيس تشير إلى أنه كان متوسط القامة حيث لم يزد طوله عن ١٧٢ سم.

على أن أحد لم يكن يعرف على وجه الدقة سبب سفر رمسيس الثانى إلى باريس، لكن أيًا كان السبب فقد كان هناك من وجدوا فى قرار السفر إهدارًا لقيمة الفرعون العظيم ومخاطرة ستتعرض لها مومياؤه من مشقة النقل بالطائرة.

ومن بين من عارضوا ذلك القرار محرر الشئون السياحية (للأهرام) فى ذلك الوقت الزميل محمود كامل الذى كتب مقالا انتقد فيه سفر المومياء وقال إنها قد تتعرض للتلف ذلك لأن شحنها بالطائرة وتعرضها للذبذبة ولاختلاف ضغط الهواء داخل الطائرة ستكون له آثار سلبية عليها، وقد وجه محمود كامل اعتذارا للفرعون العظيم قائلا (يا أبانا العظيم

رمسيس الثانى سامحنا على ما فعلناه بك فقد تعود إلينا ترابا بعد أن تفنى مومياك) وفى نهاية المقال تساءل محمود كامل من هو ذلك العبقرى الذى أصدر قرار سفر المومياء؟

وفى صباح ذلك اليوم قرأ الرئيس السادات الصحف كعادته فى الصباح فإذا به يجد هذا المقال الذى اتخذه على أنه هجوم شخصى عليه باعتباره هو الذى أصدر قرار سفر مومياء رمسيس فانفعل الرئيس وقرر أن يطلب رئيس تحرير (الأهرام) كعادته كلما لم يعجبه شىء مما هو منشور، لكن على حمدى الجمال كان قد ترك مكتبه إلى صالة التحرير لحضور اجتماع التحرير ورأت سكرتيرته أن تحول له مكالمة الرئيس السادات على (الديسك) حيث تلقيتها أنا بالمصادفة.

لم أقل شيئًا للأستاذ على حمدى الجمال ناولته سماعة التليفون بسرعة وكأنى اقذف بها إليه ففهم أنها مكالمة له، فرد عليها بينما أخذنا نحن المحررين الجالسين حوله نتابع مختلف ألوان قوس قزح على وجهه الذى أحمر أولاً ثم أصفر ثم أزرق، وهو صامت لا يجيب ثم فجأة وضع السماعة فى هدوء دون أن يرد سلاما لم يوجه إليه فى نهاية المكالمة.

وصمتنا جميعا ننتظر لمعرفة ما حدث وإذا بعلى حمدى الجمال ينفجر فينا متهما إيانا بالإهمال والافتقار إلى الإحساس بالمسئولية وقال إنه سئم تلك (الشغلانة) التى لا يجنى من ورائها إلا التوبيخ بسبب ما نكتبه من (قرف) كما أسماه.

وبعد دقائق هدأت الأمور قليلا وأخذ الأستاذ على حمدى الجمال يعود إلى طبيعته الوديعة السمحة فقص علينا ما حدث وقال إن الرئيس السادات غاضب جدا من هذا المقال وأن علينا أن نصلح من هذا الأمر وإلا فإن الأذى سيطولنا جميعا.

وفى اليوم الثانى صدر (الأهرام) وبه تحقيق كبير يحتل ضعف المساحة التى احتلها المقال الذى كتبه محمود كامل فى اليوم السابق وكان مضمون التحقيق يقول إن مومياء أكبر فراعنة مصر قد أصيبت بنوعية نادرة من الفطر تهدد بالقضاء عليها تماما وأن علاج ذلك الفطر لا يوجد إلا فى فرنسا، وأن الرحلة التى قام بها رمسيس الثانى إلى باريس هى التى ستنقذ مومياءه.

وقد عرض التحقيق الذى تم تنفيذه خلال بضعة ساعات على رئيس التحرير فقرأه كلمة كلمة قبل أن يوافق على نشره قائلا: المسألة موش ناقصة! وقد كان يشير بذلك إلى أمر

كثيرا ما حدثه فيه الرئيس السادات وهو اقتناعه بأن العاملين فى (الأهرام) جميعا (بتوع هيكل) وكان الرئيس السادات قد انتقد بشدة أن الصورة التى صاحبت خبر إقالة هيكل فى الصفحة الأولى (للأهرام) فى فبرارير ١٩٧٤م كانت تظهر هيكل وهو يضحك وكأنه لا يبالى، وقد حاول السادات دون جدوى معرفة من الذى اختار تلك الصورة.

ورغم أن على حمدى الجمال لم يكن رئيسا للتحرير فى ذلك الوقت إلا أنه كثيرا ما روى لنا أن الرئيس السادات كان يؤنبه على ذلك وكلما نشر ما لا يروق له كان يقول للجمال (دة شغل العصابة بتاعة هيكل)!

وها هى الأيام تمضى ويمر على هذه الواقعة ثلاثون عاما بالتمام والكمال ويقرأ العالم إعلانا على الإنترنت لبيع خصلة من شعر رمسيس الثانى وبعض أجزاء من كفنه فى فرنسا، مما يعنى أن مومياء أعظم فراعنة مصر لم تعد إلى مصر سالمة وأنه قد تم العبث بها أو على الأقل قام البعض بقص بضعة خصلات من شعر صاحبها المطلى بالحناء الحمراء وكذلك قطع من قماش الكفن الملكى، فكيف حدث ذلك؟

لقد كانت هناك عناية كبيرة فى مظاهر الاحترام التى أحيطت بها المومياء الملكية حيث صدر لها جواز سفر دبلوماسى وعزفت لها الموسيقى العسكرية عند وصولها إلى الأراضى الفرنسية، لكن يبدو أن الاهتمام لم يمتد إلى العناية بالمومياء نفسها.

لقد تم تحليل المومياء فى أحد المعامل الواقعة خارج العاصمة باريس وتم علاجها من الفطر عن طريق الإشعاعات الكهرومغناطيسية، أما شعر المومياء فقد تم إرسال عينات منه إلى معامل شركة (لوريال) الشهيرة لمستحضرات التجميل ويقول صاحب الإعلان إن والده كان أحد العلماء الذين عالجوا المومياء وأن لديه من الشهادات والصور الفوتوغرافية ما يثبت صحة خصلات الشعر التى يعرضها للبيع.

وإزاء ذلك فقد نكون مدينين باعتذار ثان لأبينا العظيم رمسيس الثانى على ما حدث لمومياءه قبل ثلاثين عامًا.

❑❑❑

نجيب محفوظ:
عودت الوحى أن يأتينى فى أوقات محددة!

يقول الكتاب والفنانون إنهم ينتظرون الوحى فى الموعد الذى يأتى فيه، وإذا لم يكتبوا جديدا فلأن الوحى لم يأتهم، أما أديبنا الأكبر نجيب محفوظ فيتحدث بغير ذلك حيث يقول إن لديه ساعات معينة من النهار كان يمضيها جالسا على مكتبه فى انتظار الوحى، وأن الوحى تعود على المجىء فى تلك الساعات لأنه وجد أنه إذا جاء فى أوقات أخرى فإنه لا يجد أديبنا الأكبر مستعدا لاستقباله!!

وصلت إلى منزل أديبنا الأكبر نجيب محفوظ فى تمام الساعة السادسة بعد الظهر، فذلك هو موعدى الأسبوعى معه حيث ألتقى به لنتحدث فى موضوع ما يكون هو مضمون الحديث الذى أجريه معه لـ (الأهرام) كل أسبوع.

وما أن دققت جرس الباب حتى فتح لى الأستاذ بنفسه ورحب بى كما يفعل كل أسبوع وكأننا لم نلتق منذ زمن، ومشى بى إلى غرفة الاستقبال التى اعتدنا الجلوس فيها، وتعجبت من أنه قد سمع جرس الباب وجاء يفتحه رغم ضعف سمعه الذى جعله لا يسمع إلا ما يقال فى السماعة التى يضعها فى إذنه اليسرى، وتذكرت أنه كان قد حدثنى منذ فترة عن سماعة أمريكية جديدة قال لى إن الأصدقاء أخبروه أنهم سيحضرونها له لأنها أقوى من السماعات القديمة، فقلت له: هل غيرت السماعة يا أستاذ نجيب؟

قال: لا أبدا، لماذا تسأل؟

قلت: لأنك سمعت جرس الباب ففتحت بنفسك، بينما كنت دائما تنتظرنى فى حجرة الجلوس وكانت السيدة حرمكم هى التى تسمع الجرس وتستقبلنى على الباب.

قال: أنا لم أسمع الجرس، لكنك عودتنى أن تكون دقيقا فى مواعيدك مثلى، فما أن دقت الساعة السادسة حتى قمت أفتح الباب فوجدتك أمامى كما توقعت.

والحقيقة أن الدقة فى المواعيد كانت دائما من أهم الصفات المميزة لأديبنا الأكبر، فقد كان يجلس يوميا على مكتبه فى الصباح وفى يده القلم وأمامه الورق بصرف النظر عما إذا كان هناك عمل يكتبه أم لا، فهو يبدأ يومه كل صباح بالجلوس على مكتبه لمدة ٣ ساعات ثم يخرج بعد ذلك سيرا على قدميه على النيل فيعبر كوبرى الجلاء إلى الجزيرة حتى يصل إلى كوبرى قصر النيل فيعبره إلى ميدان التحرير حيث كافتريا (على بابا)، فيجلس فى الدور العلوى منها ينظر إلى الميدان ويقرأ الصحف ويحتسى فنجان القهوة المعتاد قبل

أن يذهب إلى عمله سواء فى الحكومة أو بعد ذلك فى (الأهرام)، وكان يقطع تلك الرحلة اليومية كلها سيرا على الأقدام، فالأستاذ نجيب لم يمتلك سيارة فى حياته وهو مشاء كبير، مشى القاهرة كلها ذهابا وإيابا فعرف كل حارة فيها وكل زقاق، وحين قرر محافظ الجيزة السابق المستشار محمود أبو الليل، وزير العدل الحالى الاستجابة إلى مقال كتبته فى عيد الميلاد التسعين لأديبنا الأكبر وطالبت فيه بإقامة تمثال له أثناء حياته، كان الوضع الذى اختاره المثال محمد سليم عبده ليصور به نجيب محفوظ هو السير، وهكذا جاء تمثاله الذى وضع فى ميدان (سفنكس) الذى أصبح اسمه الآن ميدان نجيب محفوظ فى بداية شارع جامعة الدول العربية، يصور نجيب محفوظ وهو سائر.

وقد أمضى الأستاذ نجيب سنوات يقوم بتلك الرحلة اليومية دون توقف إلا فى أيام الجمعة التى كان يعتبرها الإجازة الأسبوعية، وفى الصيف حين كان يسافر إلى الإسكندرية فيتوقف عن الكتابة تماما إلى أن يعود إلى القاهرة فى نهاية الصيف.

وأذكر أننى سألته ذات مرة: كيف أمضيت السنوات الطوال لا تغير نظامك هذا، ثم هل كنت تجد كل يوم بالفعل ما تكتبه فى تلك الساعات الثلاث الأولى من النهار؟

قال: فى بعض الأحيان كنت أكمل عملا أكون قد بدأته من قبل. وفى بعض الأحيان كنت أكتب قصة جديدة، وفى أحيان أخرى لم أكن أكتب أى شىء، لكنى فى جميع الأحوال لم أكن أنهض من على مكتبى، لأن الكاتب مثل الموظف عليه أن يعطى عمله عددا متفقا عليه من الساعات، وإذا كان قانون العمل ينص على أن ساعات العمل هى ثمانية فى اليوم، فأنا لم أكن أعطى الكتابة إلا ثلاث ساعات فقط.. فهل هذا كثير على شخص مهنته هى الكتابة؟

قلت: بالطبع لا، لكن إذا لم يكن يجيئك الوحى فلماذا تظل جالسا على المكتب والقلم فى يدك؟

قال: وهل الموظف إذا لم يكن هناك عمل فى أحد الأيام يصبح من حقه أن يترك المكتب وينزل إلى الشارع؟. ثم إننى اكتشفت أن الوحى يمكن تدريبه على الحضور فى مواعيد معينة، فأنا أجلس والقلم فى يدى حتى يجدنى الوحى جاهزا يجيئنى لأنه لو جانى فى وقت آخر فلن يجدنى مستعدا لاستقباله.

قلت: وهل كان الوحى يلبى النداء فى الموعد الذى خصصته له ولا يأتيك فى موعد آخر؟

قال: فى معظم الأحيان كان يعطينى الوحى ما أكتبه خلال تلك الساعات، فالساعات الأولى من النهار قبل أن يصحو الناس هى ساعات صفاء رؤية، وأستطيع أن أكتب فيها

أضعـاف ما أكتبه فى بقية سـاعات النهار، ومع ذلك فقـد كان الوحى يأتينى فى بعض الأحيـان فى أوقات أخرى فقط ليهمـس لى ببعض الأفكار، فكنت أدونها فى ورقة صغيرة وأنا جالس على المقهى أو وسـط أصدقائى ثم أعود إليها فى صباح اليوم التالى وأنا جالس على مكتبى فتكمل على الورق وتأخذ أبعادها الحقيقية.

قلت: فى بعض الأحيان يكون برد الشتاء قارصا، فهل كان ذلك يمنعك من النزول من بيتك مبكرا والسير على أقدامك إلى مقهى (على بابا) فى ميدان التحرير؟

قال: لا فالمشى كان يملأنى دفئا ونشاطا فلا أحس بالبرد، وإن كنت قد عدلت بعض الشىء فـى خط سـيرى بعد (نوبل)، لكن ليس بسـبب البرد، فقد كنت بعد تنـاول القهوة أمر على الجامعة الأمريكية التى تقع إلى جانب (على بابا) لأن دار النشر بالجامعة كان لديها ملف يومى عما ينشـر عن أعمالى التى كانت تتم ترجمتهـا فى الخارج فتكتب عنها الصحف أو المجلات الأجنبية، ثم كنت بعد الاطلاع على تلك القصاصات أواصل سيرى إلى (الأهرام).

أما بعد الظهر فكان الأستاذ ينام قليلا بعد الغداء ثم يصحوا فى الخامسة ليتمشى جيئة وذهابا فى غرفة الجلوس وهو يسـتمع إلى محطة أم كلثوم لمدة حوالى سـاعة يكون خلالها قد ارتدى ملابسـه واستعد للنزول للقاء (الحرافيش)، وهذا هو الموعد الذى مازال ينزل فيه من المنزل حتى يومنا هذا للقاء الأصدقاء، فيما عدا يوم لقائى به والذى التزمت به لمعرفتى بدقته فى المواعيد فصار يفتح الباب فى تمام السادسة ليجدنى أمامه.